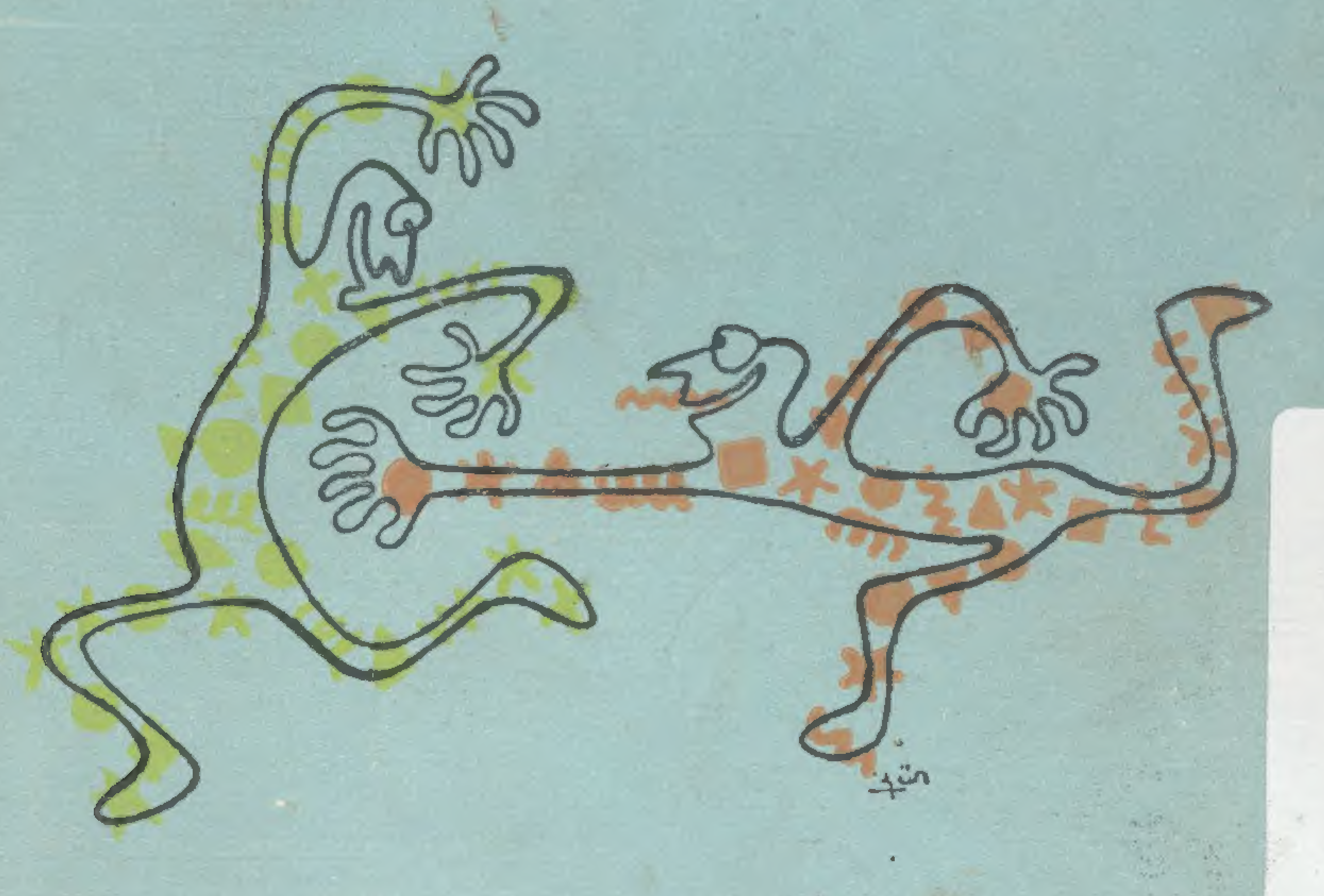
كتاب الهلال

١٠ قروش

سلسلة ثقافية شهرية

الظرفاء

محمود السعدني



كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر من « دار الهلال »

رئيس مجلس الادارة : أحمد بهاء الدين

رئيس التحرير : محمود أمين العالم

العدد ١٩١ شوال ١٣٨٦ فبراير ١٩٦٧

No. 191 Février 1967

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

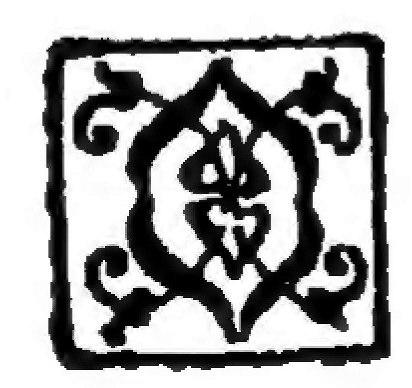
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة جنيه مصرى - فى السودان جنيه سودانى فى سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا سوريا لبنانيا - فى بلاد اتحاد البريد العربى جنيه و ٣٠٠ مليم فى الامريكتين ٥ دولارات ونصف - فى سائر انحاء العالم ٣٥ شلنا

سعر البيع للجمهور : قطر والبحرين ٤٠ آنة ، ليبيا (بنغازى وطرابلس) ١٥٠ مليما ، الجزائر ١٧٥ فرنكا ، المغرب ١٥٠ فرنكا

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغــلاف بريشــة
الفنان حلمى التونى

محمود السعدني

الظرفاء

دار الهلال

تقديم

رأى الاستاذ محمود السعدنى أن يسمى كتابه هذا ، « الظرفاء » ورأى ـ ولا أدرى لماذا ؟ ـ أن أكون واحدا من هؤلاء الظرفاء .. ثم رأى أن أساهم فى الكتابة بكلمة ! ..

وأبادر فأؤكد للقراء أن الصورة التى رسمها لى صديقى السعدنى لا تمثل من حقيقتى الا اسمى .. لو كنت أحد الظرفاء الذين خصهم بعنايته لرضيت بما نسبه الى من مزايا تافهة .. وعيوب جميلة .. وأشياء أخرى غريبة تثير السخرية والابتسام !

وكتاب السعدنى ، بعد ذلك ، متحف أنيق يضم آثار عشر من الشخصيات المصرية الموهوبة ، وقد تناول المؤلف هذه الشخصيات بالدراسة المرحة ، والتحليل الضاحك ، وأضفى على حياتها ظلالا كثيرة من خياله السخى ! ..

وللسعدنى خيال طاغ قوى ، غير أن هذا الخيال على طغيانه وقوته لا يقهر الحقائق دائما .. فكثيرا ما خضع لها ، وهو فى حديثه عن ظرفاء مصر التسعة ، لا يمشى وراء الحقيقة المجردة ، ولا يمشى أمامها ، ولكن يسير

معها ، يصادقها احيانا ، ثم يخاصمها كما يخاصم الصديق صديقه !

والشخصيات التى عرضها السعدنى فى متحفه ، تمثل الطبيعة المصرية ، بذكائها ومكرها ، وسخريتها ، تمثل حضور البديهة ، ودقة الملاحظة ، وخفة الروح ..

وقد كانت النكتة السلاح السرى الفتاك الذى استخدمه المصريون فى محاربة الغزاة والمحتلين ، كانت النكتة هى الفدائى الجسور الذى استطاع أن يتسلل الى قصور الحكام ، وحصون الطغاة فأقض مضاجعهم ، وملأ صدورهم بالرعب والقلق ..

والنكتة المصرية القوية تعتمد على المبالغة فى تصوير حقيقة ، أو تشويه حقيقة

كان زيور باشا رئيسا للوزارة وكان ضخم الجثة ، فوصفه عبد العزيز البشرى بأنه اذا ركب العربة لم يستطع أحد أن يعرف هل هو جالس الى الشمال أو هو جالس الى اليمين .. ؟ وانه كان يمشى فى حديقة داره فتراهن اثنان من المارة هل هو يسير امامهما أو هو متجه اليهما ! ..

وكان مأمون الشناوى يتكلم عن سرعة تضخم حمادة الطرابلسى واطراد الزيادة فى وزنه فقال انه كان يجلس معه فرآه وهو « بيتخن » .. !

وكان حنفى محمود وزيرا للمواصلات فسمع صوتا عاليا يرتفع من الغرفة المجاورة لغرفته فاستدعى الساعى وسأله : ايه الزيطة دى ؟ فقال له الساعى ان السكرتير بتكلم مع الاسكندرية ، فقال حفنى محمود : قل له بدل ما يزعق كده .. يتكلم فى التليفون !

وكان حافظ ابراهيم جالسا فى حديقة داره بحلوان

ودخل عليه عبد العزيز البشرى وبادره قائلا : لقد رأيتك من بعيد فتصورتك واحدة ست .. فقال حافظ ابراهيم: والله يظهر ان نظرنا ضعف ، أنا كمـــان شفتك وانت جاى افتكرتك راجل !

وكان البشرى وحافظ ابراهيم مدعوين الى احـدى الرحلات ودخل البشرى على حافظ فى غرفة النوم وطلب اليه أن يرتدى ملابسه فقال حافظ انا لسه ماغسلتش وشى ، فقال له البشرى : وشك موش عاوز غسيل .. نفضه كفاية !

***

وتعود عبد العزيز البشرى أن يستخدم صيغا مختلفة فى القسم بالله فكان يقول مثلا : أقسم بالله ثلاثا .. وحق ذات الله العلية .. قسما بذات العزة والجلال .. وكان اذا استعمل أحد هذه الاقسام فى أول الليل ظل يستعمله الى آخر الليل ..

وفى احدى الليالى لاحظ حافظ ان عبد العزيز البشرى استعمل كل صيغ الاقسام .. فساله : ايه الحكاية ؟ هوه مفيش « يمين » نوبتشى الليلة .. !

وبين الشخصيات التى لمعت فى مجال النكتة ولم تكن لها صفة سياسية أو فكرية ، المعلم دبشة الجزار والاسطى حسين الترزى ..

كان حسين يسير فى الطريق على قدميه فلمحه أحـد أصدقائه وكان يسوق عربته الخاصة ودعا حسين الى الركوب معه ليوصله الى المكان الذى يريده وكانت العربة قديمة فقـــال له حســين : ما اقدرش .. علشــان مستعجل ! ..

وزار دبشة احدى الفنانات فى دارها فوجد عنـدها

رمانا وابدى اعجابه بالرمان فقالت له : افرط لك رمان يا دبشة ؟ فقال لها : فرطي لى .. فى عرضك !

وقابل سليمان نجيب احدى السيدات فى ميدان سباق الخيل فسألها عن اسم الحصان الذى لعبت عليه ، فقالت له : اذا قلت لك اسم الحصان فهل تشاركنى عليه ؟ فقال لها سليمان : انا موش عاوز اشاركك .. أنا عاوز أشارك جوزك !

***

فى هذا الكتاب أكثر من طراز للنكتة وبعض هذه النكت يعتمد على المفارقات ، وبعضها يعتمد على المبالغة ، وبينها نكت تعتمد على الجناس والتورية واللعب بالالفاظ وهى كلها تعطى صورة صادقة عن النكتة المصرية ..

بين الشخصيات التى تعرض لها الكتاب شخصيات تجيد النكتة القاء ولا تجيدها كتابة .. مثل محمد البابلى ومحجوب ثابت وحافظ ابراهيم وعبد العزيز البشرى ..

***

كان البابلى مفكرا على درجة عالية من الثقافة .. وكان يجمع بين ترف الحياة ، وترف الذهن .. وكان يتحدث بأسلوب لاذع أنيق ، ولكنه لم يحاول أن يسجل هذا الاسلوب على الورق ..

وكان محجوب ثابت يجنح فى كتابته الى تصنع الجد ، ويستخدم فى مقالاته السياسية شعارات حماسية وطنية ، وكان حريصا على أن يبدو من خلال ما يكتبه متجهم الوجه ، مقطب الجبين !

وكان حافظ يبلغ القمة فى التعبير عن النكتة اذا القاها ،

أو عبر عنها بالشعر الخفيف ، وكم له فى هذا المضمار من أشعار لم يتضمنها ديوانه المطبوع ، ولكن طريقته المعقدة فى الكتابة كانت تخنق روح النكتة ..

وكذلك كان عبد العزيز البشرى .. فان أسلوبه الكتابى يعتمد على جزالة اللفظ ، وهذا الاسلوب يحجب الجمال الذى امتاز به أسلوب البشرى عندما يطلق نكتة ، أو يحكى حكاية ..

وكان المازنى يجيد السخرية اذا كتب ، ولم يكن يعرف كيف يقول النكتة ولا كيف يرويها عن غيره ..

أما عبدالله النديم وحسين شفيق المصرى ، فكلاهما كان يحسن التعبير عن النكتة بالكتابة ، والزجل ، والكلام ، والشعر الماجن ، والشعر الرصين ..

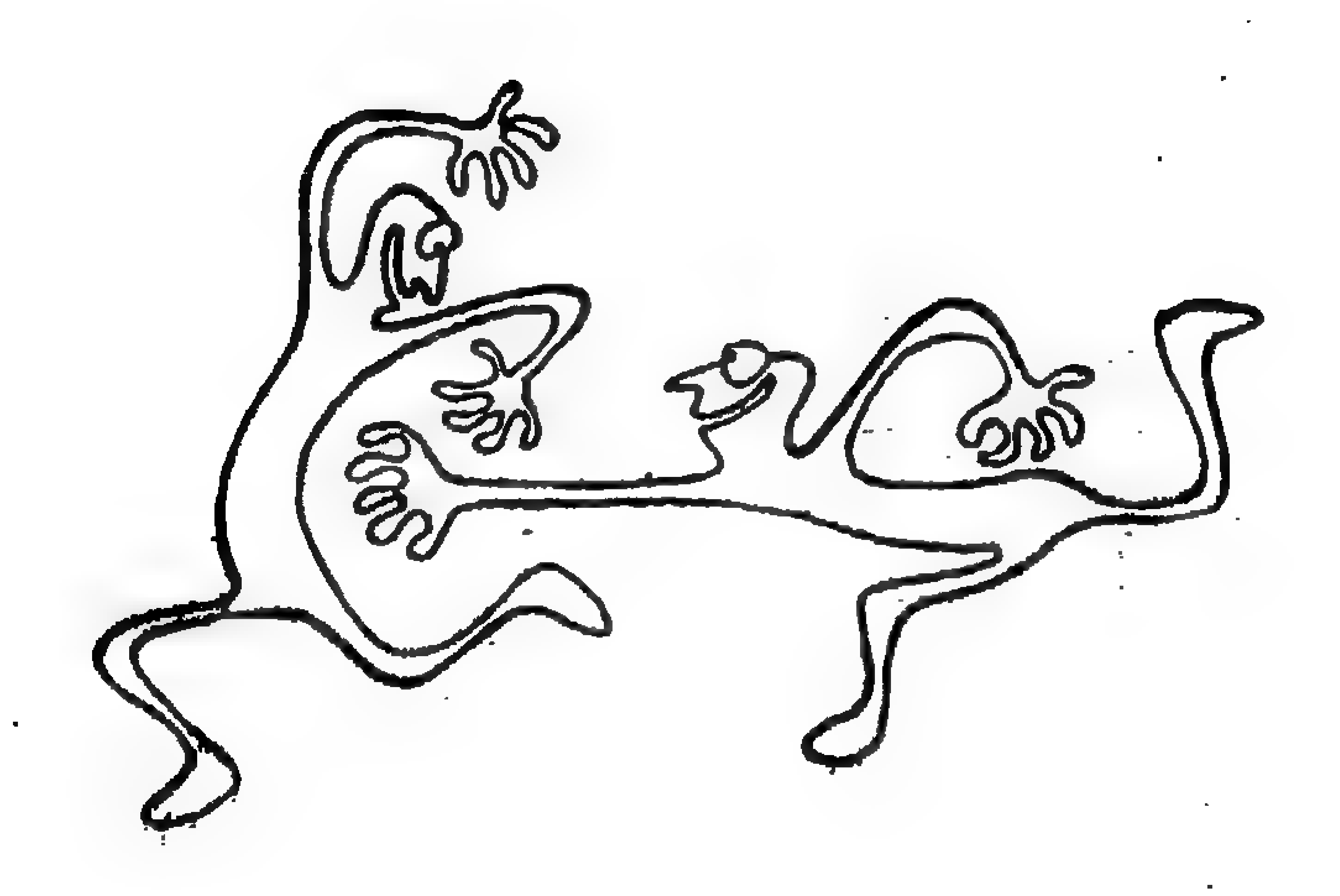
***

لقد كان مفروضا أن أتعرض هنا لدراسة النكتة ما هى ؟ وما الفرق بينها وبين الفكاهة ، والطرفة ، والملحة ، والدعابة ، والسخرية ، والقفشة ، والقافية .. وهل تأثرت بحضارة العرب ؟ وأى النكت اشد أثرا : النكتة المسموعة ، أم النكتة المكتوبة ، أم النكتة المرسومة ؟

ولكن مثل هذه الدراسة لا يتسع لها الحيز المخصص لمقدمة كتاب .. ثم يبقى ان ما كتبته ليس مقدمة ، ولا تمهيدا ، ولا تعريفا .. وانما هو مجرد مساهمة بكلمة صغيرة ، فى كتاب غير صغير !

كامل الشناوى

أعظم الظرفاء ...



الإهم ياذا الحق ولا تمنى الا بالبشر والاسعاد.. اللهم اكتبنى عندك فى ام الكتاب «انجليزيا» واذا كان عسيرا عليك يا ذا المن، فاكتبنى عندك خواجا، فاذا لم يكن مقدورا يا ذا الاكرام، فاكتبنى عندك خديويا .. او باش اغا .. أو اغا !!!

عبدالله النديم

وجدت نفسى فى حيرة شديدة عندما بدأت أكتب قصة عبدالله النديم .. فقصة الرجل ذائعة ومعروفة ، فهو من أحب زعماء الثورة العرابية الى الناس .. لانه كان يمثل المصرى الاصيل ، صاحب الروح الخفيفة ، والنكتة الحلوة .. ثم ان عبدالله النديم أكثر من شخصية ، وأكثر من رجل ، حتى حياته نفسها كانت تختلف عن حياة الآخرين ..

لقد بدأت حياته حزينة .. فتح عينيه على الحياة ووالده النجار الفقير يخوض فى بحار من الهم ومن الحزن ..

كانت الحالة فى مصر سيئة للغاية .. وحثالة خواجات أوربا يعبرون البحار على بواخر متشردة ، ليصبحوا بعد قليل سادة وأثرياء

وفتح النديم عينيه على الحياة فى المدينة التى هاجر اليها أبوه .. مدينة الاسكندرية ليرى كل شىء متناقض يثير السخرية ويثير الاشمئزاز ، خواجات ينعمون بكل شىء ، وفقراء يشاركون الدجاج « النبش » بحثا عن الطعام ..

والخواجات لا يهدأون لحظة عن النهب وعن السلب ، والفقراء يتفرجون على الموكب دون ضجة .. لم تكن هناك مقاومة فلم تكن فى مصر هيئات ، وليس فيها نقابات ..

والمصريون جميعا يعيشون فرادى كل منهم مشغول

بالبحث عن طعام يومه ..

هكذا كانت الحال والنديم طفل صغير يجوب أزقة حى كوم الدكة بالاسكندرية .. وعندما دفعه أبوه الى المدرسة لم يجد النديم فيها شيئا يثيره .. كانت المدرسة فى نظره عدة مقاعد صماء ، ومدرس عجوز يلقى على التلاميذ بكلمات ميتة ؛ لا روح فيها ولا حياة .. فهجرها هى الاخرى غير آسف عليها ليدخل مدرسة أعظم وأرحب وأكثر ضجة وأكثر حياة .. هى مدرسة الحياة ..

وفى المقاهى الصغيرة المنتشرة داخل أزقة احياء الاسكندرية وحول الميناء وجد عبدالله النديم ضالته ؛ حيث يأوى كل مساء عشرات من الحمالين والسقايين ، بل والنشالين يشربون أقداح الشاى ويغرقون همومهم فى دخان الكيوف .. ثم يقضون ليلهم كله فى الضحك والسخرية بجميع عباد الله وبالاوضاع المقلوبة التى تجعل من بعض الناس سادة ، ومن البعض الآخر عبيدا لا يجدون ما يأكلون .. وكان النديم يحوم حول هذه المقاهى كالفراشة يستمع أول الامر الى ما يقوله هؤلاء الناس المكدودين ثم يشاركهم السخرية بعد ذلك بكل شىء .. السخرية بهم وبالخواجات ، وبنفسه اذا لزم الامر .. فان اهتزاز الاوضاع فى زمانه لم يترك فى نفسه أثرا لاحترام أحد ..

واشتهر النديم فى المقاهى المنتشرة فى المدينة وما حولها .. وطار صيته حتى لم تعد هناك نكتة جديدة الا وينسب أمرها للنديم ..

ولقد محا الزمن فيما محا نكت النديم فى ذلك العصر الاول من صباه ، ولم يبق منها سوى النزر اليسير ، ولكنها تدل دلالة قاطعة على ان النديم لم يكن محترف

نكتة لوجه النكتة فقط ، بل كان يعنى من ورائها أمورا عظيمة ، بل هى ان شئت الدقة ، كانت بداية الثورة على كل الاوضاع المهتزة

***

فمثلا كان الخواجات فى ذلك العصر فوق القانون .. لم يكن يجرؤ أحد على سجن الخواجا أو حتى ادانته .. وفى هذا الصدد قال النديم ان خواجا وقف أمام القاضى فسأله :

ـ انت قتلت الراجل ده يا خواجا ؟

ورد الخواجا :

ـ لا يا خبيبى .. هو « كتل روحه »!

وهتف القاضى منشرحا :

ـ براءة ..

وجاء دور أحد أبناء البلد ، فسأله القاضى :

ـ انت ضربت الراجل ده بالسكين ؟

ورد أبن البلد فى ضراعة :

ـ لا والنبى يا سيدى القاضى ..

وسأله القاضى من جديد :

ـ امال يعنى هو اللى ضرب نفسه ؟

وأجاب ابن البلد :

ـ ايوه يا سيدى

وعاد القاضى يقول :

ـ غريبه .. فيه حد يضرب نفسه .. انت اسمك ايه ؟

ورد ابن البلد الذكى فى سرعة :

ـ اسمى .. محمد خسين ! ..

والمعنى واضح طبعا ومفهوم .. وهو يدلك الى أى مدى كانت نكتة النديم تحمل مضمونا عظيما ، لايستطيع مقال طويل ان يظهره بهذه الصورة الرائعة ..
المهم أن النديم الذى كان يلقى بالنكتة صباح مساء كان لا يجد ما يأكله .. والنكتة لا تطعم أحدا ؛ والشعر والزجل لا يغنى من الجوع . فقرر ان يتعلم حرفة . واصبح النديم بعد قليل عامل تلغراف

ثم تشاء الاقدار ان يعين النديم فى سراى والدة باشا عامل تلغراف ، وهكذا دخل النديم القصور .. حيث الصمت الكئيب ، والعادات المضحكة .. والملابس المزركشة ..

ولم يكن النديم على استعداد ابدا لان يقبل حياته الجديدة .. صحيح انه ضمن العيش المستقر ، ولكن من قال ان الرجل صاحب الرسالة ينشد الاستقرار فى العيش ؟ ..

كان فى القصر رجل اسمه أغا باشا .. كان سيد القصر غير منازع ، والويل لمن يغضب عليه ، والسعادة لمن يرضى عليه .. وكان منظر الاغا يدعو الى الضحك ، كان طويلا وبدينا الى حد الافراط ، وكرشه المستدير يبرز امامه ، كأنه الصق بالصدفة فى هذا الجسم الضخم .. كأنه جسم فيل .. و « حبكت » النكتة على النديم فانشد فى الرجل زجلا ظريفا .. غاية فى النكتة والسخرية :

شوف الاغا فى النغنغا زى التيران فى المزرعة
لو كنت أنا صاحب الاغا كنت اشتريتله بردعة

وسمع الاغا زجل النديم فامر بطرده من القصر ، وامر ايضا بأن يضرب بالقباقيب حتى يغمى عليه !
وهكذا خرج النديم من القصر والدماء تسيل من

رأسه ومن أنفه .. الى غير رجعة ..

***

وعاد النديم الى الحياة الواسعة العريضة يضحك الناس ويسليهم ويضمن غذاءه .. ولكنه يضحكهم على واقعهم البائس المر ·· على أحوالهم المريضة والاوضاع الكسيحة المحيطة بهم · ويشير فى جرأة الى الاعداء الذين يكبلون حرية الناس ، ويعوقون تقدمهم ·· استمع اليه يقول :

ــ شاهد خفير لصا يهبط من نافذة ومعه ملابس ، ويهتف الخفير فى اللص :

ــ مين اللى هناك ؟

ــ انا خواجا ..

ــ لا مؤاخذة ·· كنت أحسبك مصراوى ··

هكذا كان النديم يهوى بلسانه كالمطارق الضخمةليحطم كل اعداء الشعب ، ليقول للناس افيقوا أيها اللاهون عن ركب الحياة

***

وعاش النديم تلك الفترة ينزل ضيفا على العمدوالاعيان يأكل عندهم ، ويعقد فى منازلهم حلقات السمر التى تستمر عادة حتى الصباح .. وهو ينتقل من بلدة الى أخرى وصيته يسبقه ونكته تطير عبر الحقول الى القرى والكفور فيضحك الفلاحين على الخواجات وعلى المصريين أيضا ..

ثم يستقر به المقام فى المنصورة .. وله مهنة فى يده هذه المرة .. تاجر خردوات .. ولكن تاجر الخردوات الذى يحب النكتة لا يستطيع ان ينجح فى بيع الخردوات ، فهو يسخر بالزبائن ويسخر ببضاعته

« واحد زبون عاوز يشترى فانلة بياقة »

« واحد فلاح امبارح طلب منى عمه صيفى »
« واحد خواجه اسلم ولف شال على البرنيطة »

ويفلس النديم ، ويجلس فى المساء أمام الدكان الذى أصبح خاويا ، ويشير الى الجمع الذى يلتف حوله ويقول :

– تعرفوا ، ابن أحسن صنف ماشى فى الخردوات ايه ؟

ويصيح الجمع المحتشد :

– ايه ؟

ويجيب النديم :

– اللبان ..

وكانت عادة عند تجار الخردوات أيام زمان هى توزيع قطع اللبان مجانا على الزبائن .. وكان النديم يوزع اللبان على كل من يلقاه ..

***

ثم تنشب الثورة .. ولكن قبل نشوبها بزمن قصير ، مر على أرض مصر رجل كالطيف ، قوى كأبطال الاساطير ، حاد كالسيف .. اسمه « جمال الدين الافغانى » وكان عبد الله النديم قد عرف الطريق اليه يستمع فى اهتمام الى ما يقوله هذا الرجل العجيب .. عن الحرية ، عن النضال ، عن الكفاح ، من احتمال الاذى والموت فى سبيل مبادىء عظيمة .. ثم تختطف السلطة المذعورة الرجل العظيم لتلقى به خارج الديار منفيا .. ولكنه قد ادى الرسالة ، ووضع بذور الثورة فى قلوب الرجال الذين سيحملونها بعد ذلك وكان منهم الطريف الاديب ، عبد الله النديم ..

ولكن من كان يتصور أن الثورة ستجتاح ارض مصر كلها بعد ذلك بأعوام .. وان المصريين سيهبون بالهراوات والعصى والبنادق القديمة القليلة التى لديهم ليطـــالبوا

بالدستور والبرلمان وبخلع الخديو الخائن .. ومن كان يظن كذلك ان هذا الضابط الفلاح الطويل القامة ، المهيب المنظر سيهب على رأس فرقته ليعطى للطغاة درسا .. ثم من كان يظن ان هذا الزجال الذى لا مهنة له ، والذى فشل فى الوظيفة وفشل فى الدراسة ، ونجح فى النكتة ، هذا المصرى الاصيل ، عبد الله النديم ، من كان يظن انه سوف يحمل على عاتقه اخطر واشرف مهام الثورة ، وهى مهمة اثارة الجماهير ودفعها دفعا نحو الثورة ؟!

ولكن هذا هو الذى حدث ، فلم تكد الثورة تتحرك ، حتى تحرك عبد الله النديم يخطب الناس فى حماس ويكتب المقالات ليعلمهم ..

« ايها المصريون ، لا حياكم الله ولا نجاكم ، ما دمتم تعيشون كالسائمة تأكلون من حشائش الارض وتقبلون اياديكم المشققة ظهرا وبطنا ..

« أيها المصريون ، شموا رائحة أجسامكم ، انها نتنة قذرة والنيل يجرى بينكم ، استمعوا الى صرخات امعائكم ، وواديكم يملؤه الخير ، انصتوا الى صوت الله يلعنكم مع انكم حفظة كتابه وحملة رسالته ..

« ايها المصريون ، لعن الله من يكره الحرية ، لعن الله من تعف نفسه عن أطايب الطعام ، لعن الله من يكره الراحة ، لعن الله من يقعد متفرجا ، لعن الله من لا يتبعنا »

وتصيح الجماهير ثائرة :

ــ تحيا الثورة ، تحيا الثورة ..

اذن .. فهذه هى الثورة .. والجماهير التى رآها النديم فى صباه تشرب الشاى وتدخن الحشيش وتضحك من الاعماق ، يراها الان تحمل الفؤوس وتطلق البارود وتهتف بحياة الثورة ..

وتنشب المعارك التى تمناها النديم طويلا ، ويسقط الكثيرون صرعى ، ويراه احدهم مرة يسير بين جثث القتلى الانجليز .. فيسأله :

ـ ماذا تفعل عندك يا عبد الله ؟

ويرد النديم على الفور :

ـ اتأكد من موت هؤلاء الناس ، ليطمئن قلبى ، فأنا اخشى ان يكون عزرائيل خواجا ..

حتى فى ساحة القتال ، لا ينسى النديم النكتة ..

***

ويتزوج احد اصدقائه خلال الثورة بفتاة زنجية من جنوب الوادى .. ويسأل احد الاصدقاء عن اسم الزوجة، فيقول النديم :

ـ اظن اسمها سميحة ..

ويستفسر الصديق :

ـ سميحة ايه ؟

ويرد النديم :

ـ لازم سميحة « الشتوى »

واخيرا ، تنتهى الثورة ، ويستسلم عرابى وبقية رجال الثورة اضطرارا .. ولكن اين طويل اللسان ، صاحب النكت التى آذت اذن الخديو طويلا ، أين هو هذا المخلوق لتنكل به السلطة كيفما تشاء ..

كان قد هرب مع خادمه بعد أن تنكر فى زى أحد المشايخ ، وراح يجوب القرى ويعبر الحقول فيتلقاه الاصدقاء بفرح شديد واصبح النديم ، اليمانى ، والمغربى، والزعيم الذى هز المنابر والقلوب ، يقتحم الاسواق لينشد زجلا أو يلقى بنكاته .. ويضحك الناس ويقول بعضهم لنفسه :

ـ رحم الله النديم ، لقد اعاد هذا الرجل ذكراه ..

لم يدر أحد وقتئذ ، أن هذا الشيخ الذى هرم ويبس :
هو عبد الله النديم نفسه ..

يفاجئه رجل مرة فيسأله عن اسمه : فيجيب النديم
على الفور دون وعى :

ـ أنا النديم .. ثم يستدرك على الفور :
ـ أنا النديم الادباتى ، وأدبى أحسن م الحاتى ..
ويظنه الرجل مجنونا فينصرف

***

ثم يقبض على النديم بعد أعوام طويلة ، ثم ينفى ، ثم
يعود ، فيجد أن كل شىء قد عاد الى مكانه . الخونة فى
كراسى الحكم ، والوطنيون تدلوا من حبال المشانق ، وبعضهم
تأكله الحسرة فى المنفى ، فيهب النديم من جديد ، وقلمه
فى يده هذه المرة ، ولسانه يسبق قلمه .. وكانت ثورة
جديدة ..

ويهب الانجليز ومن خلفهم الخديو ليلقوا به خارج
مصر ، فانه الرجل الذى بقى من زعماء الثورة العرابية
ولم تستطع الاحداث ان تسكت لسانه ..

ويخرج النديم الى تركيا ، وقد ترك خلفه دعاء على
طريقة دعاء نصف شعبان والناس تقرأه فى المقاهى ، وحول
حلقات الدخان وهم يضحكون :

اللهم يا ذا المن ولا تمنى الا البشر والاسعاد .. اللهم
اكتبنى عندك فى أم الكتاب ، انجليزيا ، واذا كان عسيرا
عليك يا ذا المن ، فاكتبنى عندك خواجا ، فاذا لم يكن
مقدورا ياذا الإكرام ، فاكتبنى عندك خديويا فاذا لم يكن
هذا يسيرا أيضا ، فاكتبنى عندك باش أغا ، او أغا ، اللهم
لا تكتبنى عندك مصريا ، ولا فلاحا انك سميع مجيب الدعاء
يارب العالمين

وفى تركيا مرض النديم ، فقد أجهده النضال الطويل ، وعذبه المنفى ..

وتحركت جرثومة السل تنهش فى صدره ، وتنهش فى كيانه ، ولكنها لم تستطع ان تسكت لسانه ..

ومات النديم فى الثامنة والخمسين من عمره ، وخرج بعض الرجال الذين كانوا يعرفونه يشيعون جنازته

وسأل رجل كان يمشى فى الطريق :

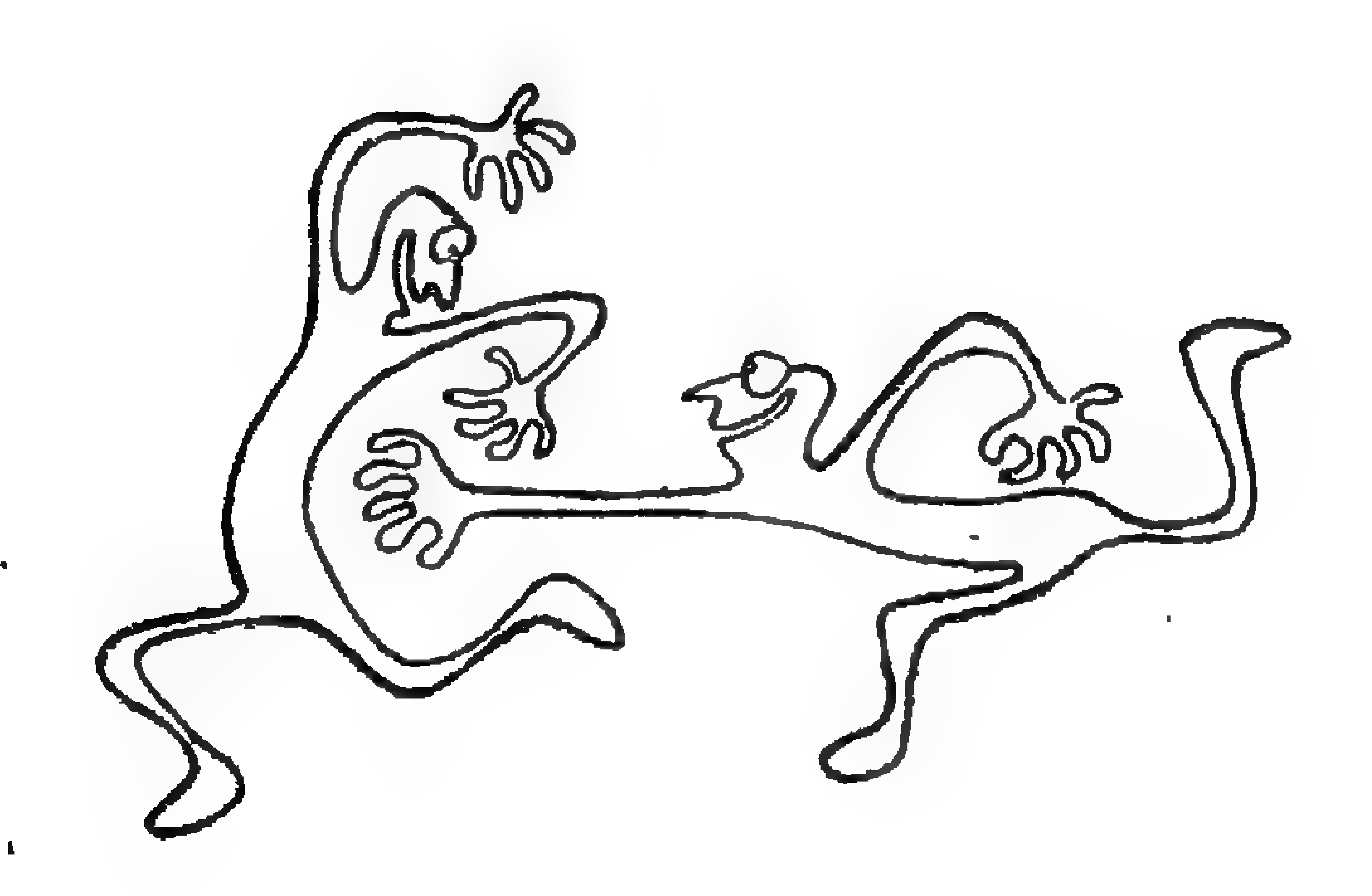
ـ من الذى فى النعش ؟

وأجاب شيخ مهدم عجوز كان يسير فى المقدمة .. وعبرات تنحدر على خديه .. اسمه جمال الدين الافغانى :

ـ انه عبدالله النديم ..

ومط الرجل السائل شفتيه .. ولم يفهم شيئا ..

الباسم العبوس



ولكن حافظ رغم البؤس ورغم الخوف ورغم القلق كان ظريفا ، وكان يضحك من الاعماق ويسخر من كل شيء حتى من وجـوده ...

حافظ ابراهيم

قال كاتب القصة العالمي انطون تشيكوف « من لا يرغب ولا يامل ولا يقلق لا يستطيع أن ينتج شيئا عظيما » . وكانت ابرز صفات حافظ ابراهيم .. القلق وأعظم انتاجه .. حياته ! ولقد بدأت حياته القلقة الرائعة في عام ١٨٧٢ حين ولد في عوامة كان يسكنها أبوه المهندس المشرف على قناطر ديروط . وكان ابوه ابراهيم افندى فهمى مصريا صميما وأمه تركية من عائلة متوسطة فكان القلق يجرى حتى فى دمه . ويموت ابوه وهو فى الرابعة . فيتعهده محمد أفندى نيازى خاله . ويدخله المدرسة الخيرية بالقلعة ، ثم المبتديان ؛ ثم الخديوية ، ثم يهجر حافظ الدراسة ، وقد امتلأت نفسه بغضا للنظام الذى تفرضه المدارس على طلاب العلم . ويسافر به خاله الى طنطا • وهو فى طنطا لا يعمل شيئا ولا يكسب شيئا • انه يدور النهار كله والليل كله ايضا مع طالب فى الجامع الاحمدى اسمه الشيخ عبد الوهاب النجار يغشيان المقاهى المتواضعة ، وحلقات الذكر ، ويقرضان الشعر احيانا ، ولكنه شعر ساذج بارد كحياتهما الفارغة. ويضيق به خاله ، ويعلن له سخطه على الحال التى آل اليها . فيضيق به هو الاخر ، ثم لا يلبث ان يهجره . تاركا له ورقة صغيرة تحوى بيتين من الشعر :

ثقلت عليك مؤونتى — انى أراها واهية
فافرح فانى ذاهب — متوجه فى داهية

شعر فيه سذاجه ، ولكن فيه مرارة ؛ وهى ابدا طابع شعر حافظ ابراهيم

***

اصبح حافظ ابراهيم بلا عمل ولا مأوى . وهو أحيانا يتضور جوعا فلا يجد ما يأكله ، ويتمنى احيانا ان يموت

عجبت لعمرى كيف مد فطـالا
وما أثرت فيه الهـموم زوالا
فللموت خير من حياة أرى بهـا
ذليلا وكنت السيد المفضـالا

ولكن هل يفقد الحيلة . ان مهنة المحاماة مفتوحة الابواب للهاربين من المهن ، والفاشلين فى الحياة . وهو فاشل وهارب معا وايضا طويل اللسان . ولم يلبث ان اصبح محاميا ، ولكن المحاماة تحتاج الى صبر ؛ وهو قلق ، وتحتاج الى بحث ، وهو يمقت البحث ، وتحتاج اخيرا الى نظام ، فيتركها غير آسف عليها . ماذا بقى اذن امامه . لا سـبيل الا الكلية الحربية . ولا يدرى احد السبب الذى دفعه الى ارتياد هذا الطريق . واغلب الظن ان تأثره بقصة حياة محمود سامى البارودى هو الذى دفعه اليه ، المهم ان حافظا دخل الكلية الحربية واصبح ضابطا ، وعمل فترة فى الجيش ثم فى البوليس ، ثم سافر بعد ذلك الى السودان فى الحملة التى كانت بقيادة كتشنر . والشاعر الرقيق الاحساس اصبح الان محاربا وفى يده سيف . وهو يكره الحرب . خصوصا اذا كانت الحرب داخل ادغال موحشة ، وصـحراوات مجهولة الحدود . ويبكى حافظ فى السودان .. يبكى شعرا فيقول :

وما أعـذرت حتى كان نعلى
دما ووسـادتى وجه التراب

وحتى صيرتنى الشـــــمس عبدا
صبيغا بعدما دمغت اهـــــابى
وحتى قلم الامـــلاق ظفـــرى
وحتى حطم المقـــــــدار نابى
متى انا بالغ يا مصر ارضـــــا
اشم بتربهـــــا ريح المـــلاب

ثم جاءه الفرج بعد ذلك . فقد تمردت فرقة من الجيش وحوكم ضباطها واحيلوا على الاستيداع .. وكان عددهم ثمانية عشر ضابطا وكان من بينهم حافظ ..

***

وعاد حافظ الى مصر يبحث عن عمل . عرض نفسه على جريدة الاهرام ولكنه لم يوفق . وكانت شهرته قد امتدت الى مختلف الاوساط . واصبح يغشى مجالس الشيخ محمد عبده ، وغيرها من مجالس العظماء . وكان له من جزالة الصوت وحسن الالقاء وجيد الشعر .. والنكتة ما افسح له مكانا فى الندوات . وفى هذه الفترة تزوج حافظ ابراهيم ولكن زواجه لم يدم طويلا . اذ هجر بيت الزوجية بعد اربعة شهور ثم لم يعد اليه بعد ذلك حتى نهاية حيـــاته التى امتدت ستين عاما

***

وفى خلال هذه الاعوام الستين وقعت لحافظ احداث عجيبة .. انعم عليه برتبة البكوية، ثم بنيشان النيل ، وعين بدار الكتب المصرية فلزم الصمت وآثر السـلامة . ولم ينتج شعرا يذكر خلال تلك المدة الطويلة . وكان السبب فى ذلك خوفه من ضياع الوظيفة ، ولما جاء صدقى الى الحكم هاجمه حافظ بشدة . ولكنه لم ينشر الشعر الذى قاله فيه . ولكن هذا كله لم يمنعه من أن يكون شـــاعر

الوطنية غير منازع · اشترك فى الاحـــــداث التى هزت بلاده بقلمه . وكان من خير شعره ما قاله فى حادث دنشواى . وفى رثاء مصطفى كامل وسعد زغلول . وكان ينتهز الفرص ليصرخ فى وجوه المصريين ان افيقوا ، وان هبوا ، وكان يبدو متشائما احيانا ؛ ولكنه لم يفقد الامل فى شعبه ابدا · كان واثقا من النصر فى النهاية · وهو عندما تمتلأ نفسه يأسا يقول :

فمـــا انت يا مصر دار الاديب
ولا انت بالبلـــــــد الطيب
وكم ذا بمصر من المضـــحكات
كمـــا قال فيهــــا ابو الطيب
امـــور تمر وعيش يمـــر
ونحن من اللهـــو فى ملعب
وشعب يفر من الصــــالحات
فرار السليم من الاجرب

ولكن هذا اليائس المتشائم يعود فيقول لسعد زغلول :

فاوض فخلفك أمة قــد اقسمت
ألا تنام وفى البــــلاد دخيل
عزل ولكن فى البـــلاد ضراغم
لا الجيش يفزعها ولا الاسطول

***

ثم هو يرى البعث بنفسه . لقد هبت الجموع النائمة تبحث عن تاريخها . وهى تحث الخطى فى اصرار نحـو الفوز ، ويهلل حافظ فرحا مزهوا :

افقنا بعـد نوم فوق نوم على نوم كأصحاب الرقيم

ولكن حافظ رغم البؤس ورغم الخوف ورغم القلق كان ظريفا ، وكان يضحك من الاعماق ويسخر من كل شيء

حتى من وجوده . كان يقول ان الحياة محنة ، وان من الواجب ان نستعين عليها بالابتسام • وحافظ لم يكن يبتسم فقط ، لقد كان يقهقه ، ويحرك نفوس النـــاس ليضحكوا هم الاخرون

حدث مرة ان اديبا شابا كثير الكلام كان يغشى مجلس حافظ ؛ وكان يتحدث دائما عن مغامراته فى عالم الضرب والطعن ، وكيف انه قتل فلانا وجرح فلانا . وذات ليلة جلس الاديب الشاب يقص على حافظ قصة خلافه مع جماعة من الادباء ، وكيف انه اقسم ان يضرجهم بالدم

وسأله أحد الحاضرين :

ــ ونفذت وعدك ؟

واجاب حافظ على الفور :

ــ طبعا ، وضرجهم بدمه

وكان يحضر حفلة موسيقية . وكان العزف رديئـا والآلات عتيقة بالية . وطلب حافظ من قائد الفرقة ان يسمعهم لحنا معينا . فأجاب المايسترو ، بأن اللحن الذى يعنيه سبق لهم عزفه منذ دقائق • وصـــاح حافظ على الفور :

ــ يا سلام ، على كده يبقى انبسطنا

وخلال الحملة السودانية التى كانت بقيادة كتشنر • حدث أن عاد حافظ الى المعسكر متأخرا . وصـــاح الحارس الانجليزى الذى كان يقف عند الباب :

ــ من هناك ، وكرر النداء أكثر من مرة وارتبك حافظ ولم يدر ماذا يفعل . ثم عاد فصاح مجيبا :

ــ انا انجليزى يا جورج

وكتب مرة الى جار له يوم زفافه :

احامد كيف تنســـاني وبيني
وبينـك يا أخي صـــلة الجوار
أيشــبع مصطفى الخولي وأمسي
أعالج جـــوعتي في كسر داري

وبيتي فارغ لا شيء فيــــــه
ســـواي وانني في البيت عاري
ومالي جزمة ســــوداء حتى
أوافيـــــكم على قـــرب المزار
فان لم تبعثن الى حــــــالا
بمائدة على متن البخــــــار
تغطيها من الحلوى صـــنوف
ومن حمل تتبـــل بالبهـــــار
فاني شـــاعر يخشي لســـاني
وســوف أريك عاقبة احتقـاري

***

وكان يكره شاعرا من شعراء عصره كراهية شديدة وكان هذا الشاعر يتولى منصبا هاما ، وكان حافظ يبدو دائما محتاجا اليه . ولذلك كان يبدي له الود ، وان كان يبغضه في حقيقة نفسه . سأله الشاعر مرة عن أعظم الشعراء في رأيه فأجاب حافظ : المتنبيء ، فسأله : واعظم ما قاله ، فأجاب :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صـــداقته بد

ولم يفهم الشاعر طبعا ما يقصده حافظ ابراهيم
وكان حافظ يجلس في مكتبه بدار الكتب حين دخل الساعي ومعه ورقة تحمل اسم زائر ثقيل . وقال حافظ للساعي :

ـ أنا مش هنا

ومضت فترة ثم غافل الزائر الساعى ودخل على حافظ مهرولا وقد بسط يده بالسلام :

ـ صباح الخير يا حافظ بك

ـ حافظ بك مش هنا

وارتبك الزائر ووقف برهة لا يدرى ماذا يفعل . وعاد حافظ يقول :

ـ يا أخى حافظ مات ، حافظ راح فى داهية .. هوه مالكوش شغلة غير حافظ ، دنا بادور عليه بقالى عشر سنين أقعد معاه لوحدى مش عارف

***

روى له أحد أصحاب الصحف كيف انه خرج من منزله صبيحة صـدور صحيفته ليقف بنفسـه على حالة التوزيع واخذ يروى كيف انه ركب الترام فوجد كل راكب يحمل صحيفة مع التذكرة . وقال واحـد من المنافقين :

ـ وانا كمان والله النهارده ركبت الترماى لقيت كل راكب معاه نسخة ما عدا راكب واحد

واجاب حافظ على الفور :

ـ ده لازم بوليس

ولكن الغريب فى الامر ان خفة دم حافظ ونكتته الشيقة لم يبد لها أثرا فى شعره ، اذ كان هو فى قرارة نفسه حزينا مكلوما يشعر بالوحدة ويحس بالحرمان . ولذلك جاء شعره كله باكيا مريرا ، واجاد فى الرثاء وفى الوطنية ، استمع اليه يقول بعد مرض طويل :

مرضـــنا فما عادنا عائد

ولا قيـــل أين الفتى الالمعى

ولا هش طـــــرس الى كاتب
ولا خف لفظ على مســمعى

سكتنا فعز علينـــا السكوت
وهان الكـــــلام على المدعى

ولكن حافظا المغمض العينين على حزنه الدفين ، كان ينتفض احيانا فيبدو ساخطا على كل ما حوله من ظروف بغيضة . ساخطا على الفقر ، ساخطا على الذل ، برما بالظلم الذى لا يدرى مداه

عزت الســـلعة الذليلة حتى
بات مسح الحذاء خطبا جساما

وغدا القوت فى يد الناس كاليـا
قوت حتى نوى الفقير الصياما

ويخال الرغيف فى البعـــد بدرا
ويظن اللحـــوم صيدا حراما

ثم هو يرى ابناء مصر يسقطون على الطريق والصعاليك الذين يفدون اليها من بقاع الارض يمرحون كالآلهـــة فيقول حافظ :

بنو مصر فى حمى النيل صرعى
يرقبون القضـــاء عاما فعاما

ايها النيل كيف نمسى عطاشـــا
فى بلاد رويت فيهـــا الاناما

يرد الواغل الغـــريب فيروى
وبنوك الكرام تشـــكو الاواما

قد شـــقينا ونحن كرمنا اللـ
ـه بعصر يكرم الانعــــاما

وهو ايضا رجل سلام يكره الحرب ، ويكره الطغاة ،

ويحب السلام ، وفى عام ١٩٠٤ قبل أن يرتفع صـوت واحد يدعو للسلام . يهتف حافظ ابراهيم فيقول :

أســـــاحة للحرب أم محشر
ومورد الموت أم الـــــكوثر

وهـــذه جنــــد أطاعوا هوى
أربابهم أم نعم تنحـــــــــر

أشبعت يا حرب ذئاب الفـــلا
وغصت العقبــــــان والانسر

ثم يقول :

فهــــل درى القيصر فى قصره
ما تعلن الحرب وما تضـــمر ؟

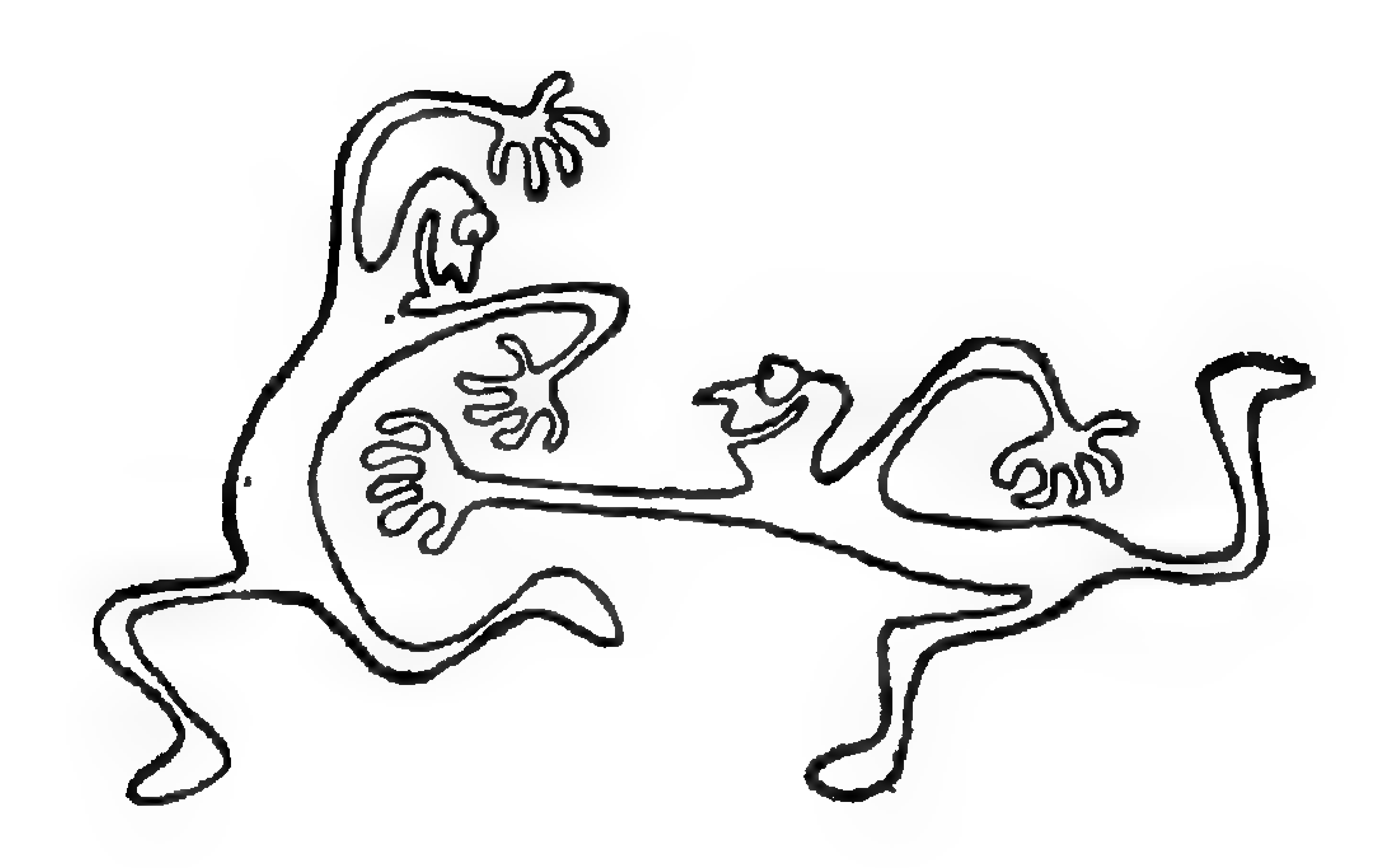
***

وعندما وافاه أجله ، جاءت منيته فجأة . كان يتعشى مع بعض اصدقائه وهو أشد ما يكون مرحا وبهجة ، ثم شعر بألم شديد فى أمعائه ، وعندما حضر اليه الطبيب كان حافظ قد مات ، وماتت بموته المنافسة التقليدية التى كانت قائمة بينه وبين شوقى ، فقــــال شوقى العملاق يرثيه :

قد كنت أوثر ان تقول رثائى
يا منصف الموتى من الاحيـاء

وهكذا انتهت صفحة حافظ ابراهيم ، الذى انصف الموتى وانصف الاحياء

سيد الظرفاء



لم يكن البشرى مجرد ساخر من الناس والحياة بل كان فنانا عميق النظرة ، رقيق الاحساس وله بحوث قيمة فى الغناء والقراءات والشعر والادب ، وعاش حياة حافلة.

عبد العزيز البشرى

من هذا المعمم الضئيل الذى يوزع وقته بين بار اللواء ، ومجالس الادب ، والكتابة فى الصحف بأسلوب ضاحك غريب يقطر فلسفة وعمقا وفهما أصــيلا لطبائع البشر ودخائل الناس ؟

انه الشيخ عبد العزيز البشرى أحد الذين صـنعوا تاريخ الادب الرفيع فى مصر .. وواحد من أفراد «الشلة» العظيمة النابغة التى نفحها القدر لمصر فى فترة من أعظم فترات تاريخها الحديث شوقى وحافظ ابراهيم ومحجوب ثابت . ولكن عبــد العزيز يمتــاز عنهم بأنه معمم . وسخريته لاذعة تدمى ولا تجرح . وبديهتــه حاضرة ، ولسانه كسيف الله المسلول حتى على نفسه ..

يقابله رجــل فى الطريق فيطلب منه أن يقرأ خطابا . وكان الخط رديئا الى درجة لم تمكنه من القراءة فاعتذر للرجل وظن الرجل أن الاعتذار لجهل الشيخ فصرخ فى وجهه متعجبا

ــ أمال لابس عمة ليه ؟..

ونزع البشرى عمامته من فوق رأسه وألبسها للرجل وصاح فيه :

ــ طيب لما الحكاية حكاية عمة ، اقرا انت الجواب بقى ..

ويستيقظ من نومه ظهرا على صوت موسيقى منبعثة من بيانو متنقل واصوات مزعجة لجماعة البلياتشو الذين

كانوا ينتشرون فى مصر فى تلك الايام ، ويلبس افرادهم الجبة والكاكولا ويدهنون وجوههم بالزفت والدقيق ، ويضعون على رؤوسهم عمائم ، وفتح الشـــيخ البشرى النافذة وطلب من جماعة البلياتشو أن ينصرفوا ليتمكن من النوم . ولكنهم لم يفعلوا . فطلب منهم بالحسنى أن ينصرفوا مرة أخرى . ولكنهم لم يعملوا بنصيحة الشيخ . ووقف الشيخ البشرى فى النافذة يصيح بأعلى صوته :

ـ انت راح تمشي يا جدع والا انزل أضربك قلمين ..

ثم يستطرد :

ـ ولا انزل أضربك قلمين ، الناس تقول ده معاهم

وكان يجلس مع « الشلة » رجل كلمـــا جاء دور الحساب فى بار اللواء يصر على أن يدفع ثم يخرج من جيبـــه ورقة من فئة الخمسين جنيها . وبالطبع كان الجرسون يعتذر فيدفع آخر من أفراد الشلة وتكررت هذه القصة أكـــثر من مرة ، وفى مرة هم الرجل بدفع الحساب بعد أن أقسم اكثر من مرة . ثم أخرج نفس الورقة المالية الكبيرة وعلق البشرى على الفور :

ـ انت برضه طلعت الابونيه

وكان الشيخ البشرى فى مادبة عند الاباظية . وخرج ليغسل يديه بعد الغداء وترك جبته السوداء معلقة على مقعد فى الحجرة وعندما عاد وجد أحدهم رسم وجهـــا لحمار بالطباشير على الجبة فقال الشيخ متســـائلا :

ـ مين فيكم اللى مسح وشه فى الجبة ؟ !

وشوهد حزينا ذات يوم فســــأله حافظ ابراهيم عن سبب حزنه فروى البشرى القصة .. قال :

ـ جاءنى اليوم رجل من الريف يرغب ويلح فى نشر

اسمه بالجريدة . وسألته ، هل أنت عمدة فأجاب بالنفى هل كنت ضمن زوار رئيس الوزراء ، قال لا . هل مات قريب لك فننشر اسمك فى النعى ، أجاب لا . قلت له اسمع اذهب فارم بنفسك تحت الترام وعندئذ سننشر اسمك ..

وسأله حافظ :

ـ وماذا يحزنك فى الموضوع

وأجاب البشرى :

ـ يبدو أن الرجل اطاعنى .. فقد خرج .. ولم يعد

ويرى حافظ شابا وسيما فيهتف قائلا :

ـ الله أكبر ، هكذا أبناء الامهات اللاتى تدفع المهور الغالية لامهاتهن

ويعقب البشرى على الفور ..

ـ على كده الست والدتك دفعت « دوطة » للمرحوم والدك ..

***

وقلمه كان أكثر مرارة من لسانه . كتب عن زيور باشا ذات مرة يقول :

« فاذا اطلعت عليه أدركت أنه مؤلف من عدة مخلوقات لا تدرى كيف اتصلت ولا كيف تعلق بعضها ببعض وانك لترى بينها الثابت وبينها المختلج ومنها ما يدور حول غيره »

ثم يقول :

« واهل مصر يأخذون على زيور « كله » مالا يحصى من الجرائم على القضية الوطنية . وانهم ليعدون عليه سفهه بأموال الدولة واستهتاره بمصالحها . ولكن من الظلم أن يؤخذ البرىء بجريرة الاثم وأن يعاقب المظلوم بجريمة الظالم . فقد يكون الذى اقترف كل هذه الآثام هو كوع

زيور الايسر ، او القسم الاسفل من « لغده » او المنطقة الوسطى من فخذه اليمنى

ان الحق والعدل ليقضيان بتأليف لجنة تقوم بعمل تحقيق مع صاحب الدولة فتسأل اعضاءه عضوا عضوا وتحقق مع أشلائه شلوا شلوا .. ولعل العضو الوحيد المقطوع ببراءته من كل ما ارتكب من الاثام هو مخ زيور فما احسبه شارك ولا دخل فى شىء من كل ما حصل

ثم يغمز بعض السادة مشايخ الاسلام فيقول :

« وزيور يحترم البرنيطة . حتى انه لا يرد لحاملها طلب . وحتى لقد زعموا ان بعض كبار علمائنا الاعلام . مصابيح الدجى وعمد الاسلام ، بعد ما اعياه الكد والجهد وشدة السعى وطول الوقوف بالابواب فى سبيل وظيفة خالية ، عزم أخيرا على لبس القبعة لعله يحظى بمعونة زيور على افتاء الديار أو مشيخة الاسلام ومولانا الشيخ المذكور اعلاه لا يعدم الف فتوى من الشريعة ، تحل له هذه الذريعة »

ويصف الدكتور محجوب ثابت فيقول :

« هو فى ميراثنا القومى لا يقل عن اثار سقارة ، وجامع السلطان حسن ومقابر الخلفاء . وهو جزء من تقاليدنا كحفلة المحمل ووفاء النيل ، وشم النسيم . وانك لتراه كلما ساروا بضحية حرية — يقصد شهيد — كان الدكتور أول المشيعين ، فاذا كان اجتماع فى الازهر كان فارسه المعلم فاذا تعانق الهلال والصليب كان هو الهلال . واذا اعتدى احد على جماعة الارمن . طار الدكتور الى دار قنصليتهم يخطب جمعهم ويعقد معهم المعاهدات باسم الامة والحكومة »

وكتب مرة فى السـياسـة اليومية مطالبا الدكتور محجوب ثابت بأن يكتب على بطاقته : دكتور محجـوب ثابت ، مطالب بالسودان سابقا ، وعضو نواب حاليا

وكتب مرة يصف صديقا فقال :

« متكور الوجه ، أضيق العينين فى ضيق محاجر • مقرون الحاجبين لو رأيته مع اخوته لحسبته بعض تلك النباتات التى تخرج وحدها لم يتعهدها منجل البستانى بالتسوية والتهذيب هل عرفت الصديق الذى كان يصفه الظريف .. البشرى :

« انه الاستاذ فكرى أباظة »

ويشن الشيخ البشرى حملة رهيبة على المتقعرين فى الفصحى الذين يتشبثون بالغـريب من اللفظ ، حتى لتحسبهم يكتبون رطانة ، فيقول : اذا أبيتم الا يتنـدر الناس الا بالفصيح فعليكم أولا بتحفيظ الأمة كلهـا المعلقات السبع والمذهبات السبع والمتنقيـات السبع والملحمات السبع ، وأنا زعيم لكم بأن الناس لن يعودوا يسمعون فى أعراس أولاد البلد فى قافية أسماء الشوارع مثلا . اللى على جتتك ! اشمعنى ؟ الضرب الاحمر . وسيسمعون بدلها ان شاء الله : هذا البادى على جثمانك ؟ ما باله من أثر المشق بالسياط ! »

ويداعب حافظ ابراهيم فى بابه المختار .. المرآة .. فيقول جهم الصوت ، جهم الخلق ، جهم الجسم ، كأنما قد من صخرة فى فلاة موحشة ، ثم فكر فى آخر لحظة أن يكون انسانا فكان والسلام ، أما عيناه فكأنهما دقتـا بمسمارين دقا وأما لون بشرته ، والعياذ بالله ، فكأنما عهد به الى نقاش مبتدىء تشابهت عليه الاصباغ والالوان فذاب اصفرها فى اخضرها فى ابيضها فى بنفسجها فخرج

خرجا من هذا كله لا يرتبط بواحد منها بسبب . واذا أطلقته فى البر حسبته فيلا ، واذا أطلقته فى البحر حسبته درفيلا »

ويقابله صديق فى الطريق فيشكو له الشيخ البشرى من ألم شديد فى المصران الاعور ويشير له على مكان الالم فى الجانب الايسر من بطنه ، ولكن الصديق يطمئنه بأن المصران الاعور لا يوجد فى الناحية اليمنى ويجيب البشرى فى هم شديد

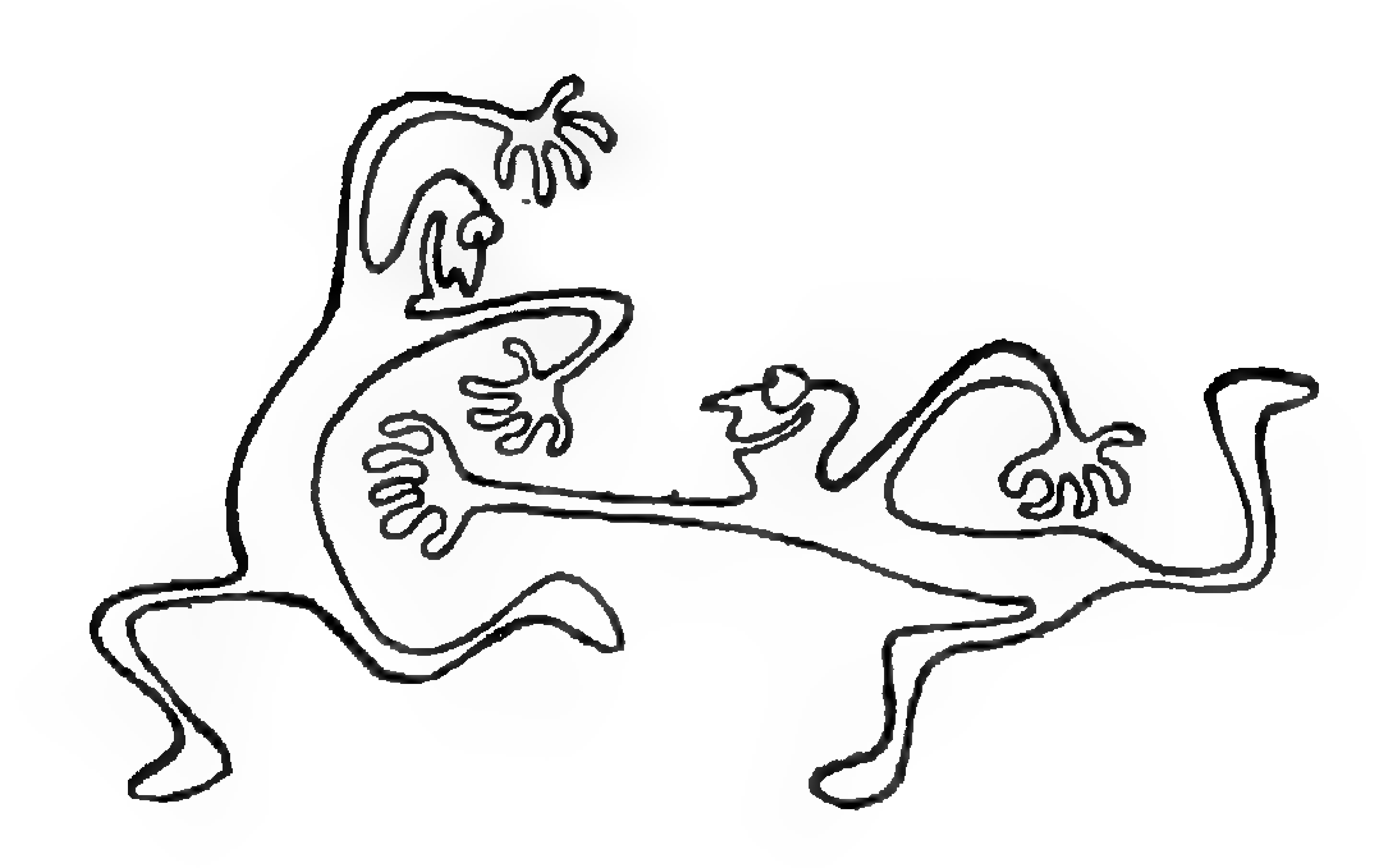
ـ يمكن أنا أعور شمال

ولم يكن البشرى مجرد ساخر من الناس والحياة . بل كان فنانا عميق النظرة ، رقيق الاحساس وله بحوث قيمة فى الغناء والقراءات والشعر والادب ، وعاش حياة عريضة حافلة . وسئل قبل وفاته بأيام عن أعظم شاعر فأجاب عبد الحميد الديب . وأعظم أشعاره قال :

تعلمت فيها صبر أيوب فى الغنى
وذقت هزال الجوع أكثر من «غندى»
جوارك يا ربى لمثلى رحمة
فخذنى الى النيران أو جنة الخلد

وكأنما كان الشيخ البشرى ينعى نفسه فمات بعد ذلك بأسبوع وكان قبل ذلك بأيام ملء السمع وملء البصر . وضاعت مع الشيخ البشرى فترة من أجمل فترات تاريخنا ..

السيد ... العبد



دخـــل الادب بازجـــاله وهى ازجال لا تقف على اقدام .. ولكنه فرض نفسه عـــلى الادب والادباء من خـــلال النكتـــة والقافيـــة .. »

امام العبد

لعله أغرب أديب فى زمانه وفى كل الازمان ، فقد دخل الادب بأزجاله ، وهى أزجال لا تقف على أقدام ، ولكنه فرض نفسه على الادب والادباء من خلال النكتة والقافية ! ونكتته ليست مسلية وليست مضحكة ولكنها قاسية وتحمل رأيا ، فهو ناقد اذن أسلوبه فى النقد أن ينكت عليك وعلى الآخرين . ولقد كانت قسوته أمرا حتميا جاء نتيجة وضعه الاجتماعى فهو ابن عبدين اشتراهما أحد الاثرياء الاغنياء من سلالة الترك ، وكان امام العبد هو نتاج هذا الزواج الفريد .. الغبى !

نشأ امام العبد فى بيت ليس بيته ومع ذلك يضم أبواه . والكلمة الاولى والاخيرة فيه لرجل جاهل كحمار ، غبى كثور ، عديم النشاط والاحساس كأنه سلحفاة ؛ وكان الطبيعى والحتمى لولد فى مثل ظروفه أن ينشأ ويتعلم ويتربى ليصبح بوابا او سايس خيول او طباخا على أحسن الفروض . ولكن الخطأ الذى وقع فيه الباشا التركى انه أرسل امام الى المدرسة . وفى المدرسة تعلم امام القراءة والكتابة وفى المدرسة أيضا شاعت قصة حياته فأصبح مضغة فى الافواه ، وكان لابن العبد أن يدافع عن نفسه ، وكل انسان يدافع عن نفسه بما تملكه يداه ، ولم يكن امام العبد يملك شيئا الا لسانا اطول من حبل الغسيل ، وأحد من سيف المقاتل ، وأشد فتكا من سم الثعبان

وهكذا حمل امام العبد سلاحه واقتحم المعركة غير آسف ولا هياب ..

والانسان ـ اى انسان ـ لا يولد شريرا بطبعه ، ولا يولد طيبا من بطن أمه · ولكن الانسان ، يتخذ موقفه دائما على ضوء موقف المجتمع منه .. وعندما تكون رجلا مهابا ومحترما من الناس فأنت بالضرورة طيب مع الجميع ·· وعندما تكون مسخة وملطشة فأنت بالضرورة ضد الجميع ·· وهكذا أصبح امام العبد ضد الجميع ، لانهم جميعا كانوا ضده

ولكن امام العبد لم يكن شريرا ، كان ظريفا ولذلك لم يخرج على المجتمع ، ولكنه آثر ان يتتريق عليه . وبرع امام العبد فى النكتة حتى صار أحد اعلامها فى مطلع القرن العشرين وأصبح زينة كل مجلس ومقصد كل فنان . والتف حول العبد كل مشاهير عصره ، وكان اقربهم اليه عبد العزيز البشرى وحافظ ابراهيم .. وذات مساء كان حافظ يزوره فى بيته ، وخرج العبد من الحجرة بعض الوقت ثم عاد ليأمر حافظ بأن يلقى بالسجار التوسكانى الذى كان يفضله خارج الدار · وعندما سأله حافظ عن السر فى هذا الطلب الغريب ، قال العبد ·· « اصل ابويا فاهم ان احنا مولعين الفرن بجله » والجله هى روث البهائم الذى يستعمله الفلاحون فى الوقود ··

وذات مساء خرج آخر الليل من البار مع شفيق المصرى ، وكانت ليلة باردة من ليالى الشتاء ، واستقلا عربة حنطور ومضى بهما الرجل على غير هدى ، وأخيرا سألهما : البهوات رايحين على فين ؟ ورد العبد وهو يرتعش من البرد ، الدنيا برد احنا مش قادرين نتكلم ، اذا كنت عاوزنا نرد عليك أقف فى شارع دفا واحنا نقولك ..

وكان له صديق جزار هجر الجزارة واحترف الادب ، وكان الجزار يجلس مع العبد وحافظ ابراهيم فقال حافظ للجزار : ازى الحال ؟ وقال الجزار : الحمد لله ، وعاد حافظ يسأله ، الجزارة الاحسن والا الادب ، فأجاب العبد على الفور ، هوه لما كان جزار كانت الكلاب بتمشي وراه ، دلوقت لما أصبح أديب ، بقى يمشى ورا الكلاب ..

وليس فى العالم ابلغ نقدا لمهنة الادب من هذه النكتة الخاطفة القاتلة وكأنه يطلق قنابل من مدفع ميدان

***

وكان البشرى بخيلا الى حد ما ، فقال عنه العبد : « البشرى مش ممكن يركب تاكسى الا اذا كان بوزه ناحية حلوان » ولما سأله الحاضرون عن السبب اجاب « اصله بيخاف أحسن العداد يعمل فلوس فى التدويرة »

ولم يكتف بالتنكيت على الناس ، بل نكت على نفسه كان يجلس فى بار اللواء يكتب خطابا لصديق فتساقطت نقطة من الحبر على الارض ، فقال على الفور ، يا خبر اسود ، الواحد بقى يعرق كتير اليومين دول .. ؟

وكان يجلس مرة مع حافظ محمود ، وكان يرتدى كرافتة سوداء ، فقال له حافظ محمود زرر قميصك يا امام « باعتبار أن الكرافتة جزء من جلده ، ورد امام على الفور ، أما يبان جلدى ، أحسن ما يبان عرضى »

وكان له صديق شديد الكبرياء وشديد الفقر ، فقال عنه العبد « مره صاحبنا ده كان ماشي فى السكة وبعدين لقى نص فرنك ، فضل واقف جنبه لحد ما فات واحد فقير ، فنادى عليه وقال له ، وطى يا ولد هات النص فرنك ده »

وقف يتفرج مع صديق على خناقة حامية والمتشاجران يتشاتمان ثم يكفان عن الشتائم ، ويقتربان من بعض ثم يبتعدان .. ومضت نصف ساعة كاملة ولم تمتـد يد أحدهما على الاخر . وسحب العبد زميله وقال له « ياعم ياللابينا ، دى اشارة بس لكن الخناقة الاسبوع القادم » !

وكان لأحد أصدقائه سيارة قديمة مهكعة ، وكان دائم الركوب فيها ثم انقطع عن ركوبها فترة من الزمان ، ولما سألوه عن السبب قال « ياعم انا ركبتها اسبوع نعل جزمتى داب »

طلب منه أديب تافه أن يستمع الى قصيدة من قصائده فقال له العبد فى همس ، طب استنى لما نروح خرابة أحسن حد يشوفنا »

***

نعى اليه أحد أصدقائه وكان صاحب ورشة لحام فقال فى لهجة آسفة « الله يلحمه »

هنا كانت عبقرية امام العبد الحقة ، أما امام العبد كزجال فقد كان من نوع الزجالين الوعاظ ، غير أن وعظه كان ظريفا وخفيفا لان الرجل نفسه كان كالطائر الصداح

وكان الظـريف من بيت أدب
وكان أبوه حازم وصاحب عكاز
ماشى على دين الليـالى عجب
والعمر مخلوق للسـهر والقمار
مالت عليه واحدة وقع فى الشرك
وبات أسيرا للحظ من غير سبب
وكل ما يحضر تقـول الملك
حضر وتقـديم التحيـة وجب

ضيع عليها المال بسحر العيون
وجاب لها حلية بألفين جنيه
صبح علي كيفه أسير الديون
وثروته فى أسم باشا وبيه

***

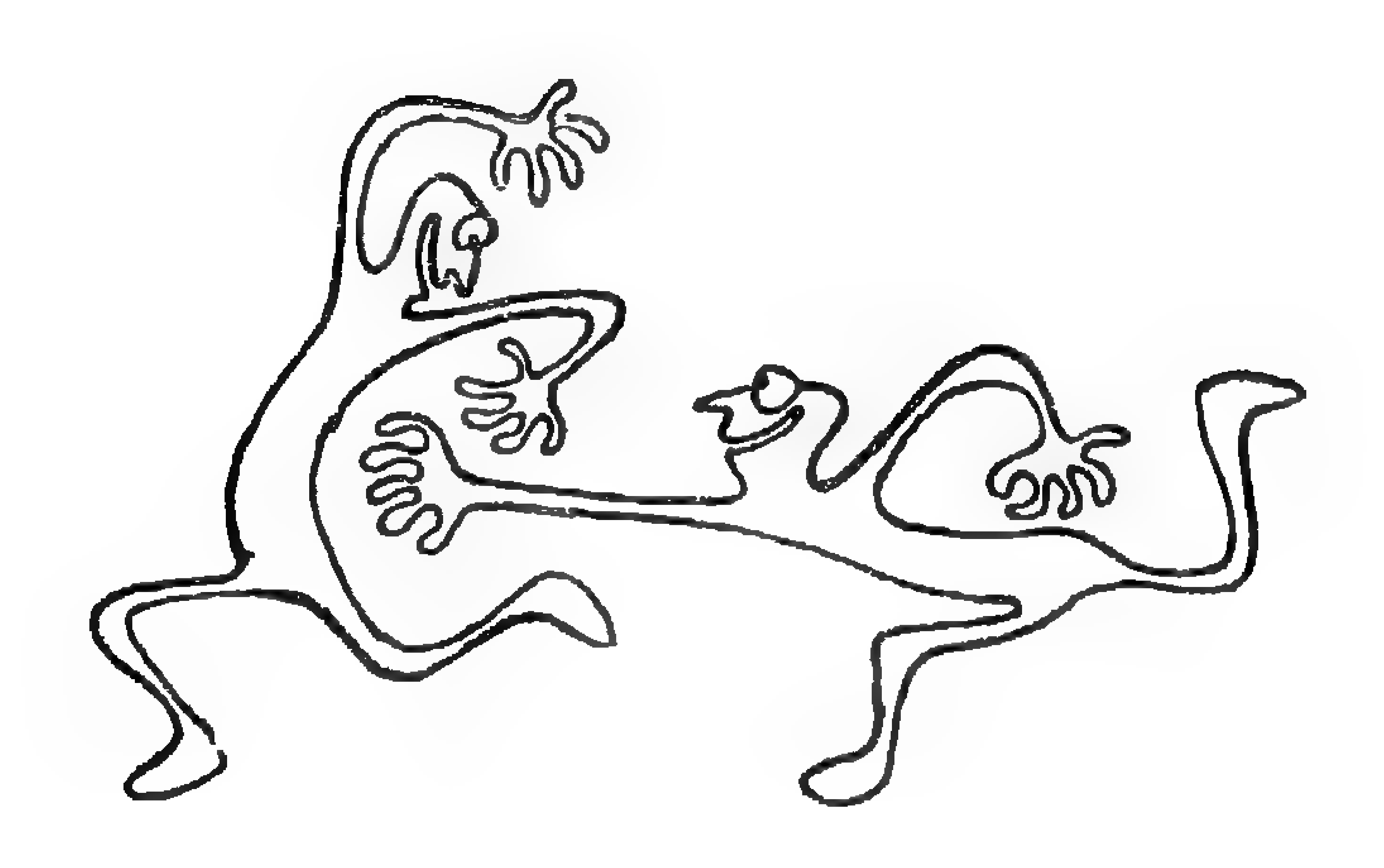
وهو زجال كما ترى من الدرجة العاشرة ، ولكن نكته وقفشاته كانت من طراز عظيم

ومات قبل أن يصل الى الخمسين ، ولو أن احدا من معاصريه عنى بجمع تراثه لكان للعبد شأن آخر ، فهو لم يكن صاحب نكتة فارغة ، ولكنه كان اديبا يصوغ أدبه فى نكتة ، وكان شاعرا قصائده قفشات ، وكان رساما لوحاته عبارات ينطقها بنت اللحظة ، وكان مقاتلا خنجره لسانه

فى آخر أيام حياته قال له صديق عجوز .. تعرف يا عبد لو احنا زمان أنا كنت اشتريتك .. وقال العبد « عندك حق اللى زيك زمان كانوا بيشتروا العبيد عشان الزوجات » !!

رحم الله العبد ، لم يبق منه الآن الا كلمات على ألسنة المحبين وما تبقى من الاصدقاء !

عبد الحميد الديب



ويدور عبد الحميد فى الحلقـــة المفــرغة حــول نفســه ، يستجدى الناس ويشتمهم ، ويقرض شعرا سيظل رغم كل ما يقال فيه ، اصيلا فى حياتنا ، وله فى تاريخنـــا تاريخ

عبد الحميد الديب

عام ١٩٣٠ ، وصدقى باشا يحكم مصر بيد من حديد وكثيرون لايستطيعون دفع الضرائب المستحقة عليهم ، ويسقط عشرات قتلى المحنة بالذبحة والجلطة والموت المفاجىء السريع وعساكر البوليس تجوب القرى والحقول

وكان منهم والد الشاعر البائس الحزين ، عبد الحميد الديب ..

حدث ذلك عام ١٩٣٣ ، وكان عبد الحميد الديب فى دار العلوم ، ووجد نفسه فجأة بين أمرين ، اما مواصلة الدراسة والموت جوعا ، واما الخروج الى الشارع والبحث عن طعام ، واختار عبد الحميد الشارع ، وخرج اليه

ولكن ماذا يستطيع طالب دار العلوم الفاشل أن يصنعه ، انه يستطيع الوقوف عدة ساعات أمام بعض الصغار يعلمهم شيئا مما تعلمه ، ويقبض أصابعه كل نهار على قروش تساعده على الحياة ، ولكن هذه المهنة الكئيبة لم ترق فى عينيه طويلا فسرعان ما هجرها الى الشارع من جديد ..

وكانت نفسه قد امتلأت يأسا وفاضت أسى ، وشبت فى جوانحه نار الكراهية لكل الناس .. لم يكن عبد الحميد يعلم أنهم مثله مظلومون ، ظن هو — خطأ — انهم مسئولون عن محنته ، وكان عبد الحميد يملك أدوات الهجوم على الناس ، يملك لسانا سليطا

وموهبة تطيعه فى قرض الشعر خصوصا عندما يكون الشعر موجها ضد أحد ، حتى ولو كان هذا « الاحد » هو عبد الحميد الديب نفسه !

ويتساءل عبد الحميد الديب وهو فى المحنة التى لايعرف مبررا لها ، هل هو حقا مخلوق آدمى ، له نفس الحقوق التى للآخرين ؟ يتساءل فى شعر حزين يقطر الما وحزنا وكفرانا بكل شىء :

أخلقتنى يا رب أم انا واهم
أنا ما خلقت لاننى لا ارزق !

وهو يكره الناس ، ويعدهم مسئولين عن محنته ، انهم يسخرون منه ، فلا بد أن يسخر بهم ، هؤلاء الذئاب آكلة لحوم البشر ..

ترى ماذا طعمتم فى موائدكم ؟..
لحم الذبيحة ام لحمى وأخلاقى
بين النجوم اناس قد رفعتهموا
الى السماء فسدوا باب أرزاقى

وينظر عبد الحميد الى نفسه .. انه لا يجد ما يأكله ، وأيضا لا يجد ما يستره :

وجلبابى كمصطاف الفنى نوافذا
ومشتى الفقير ابن السبيل هشيما

والناس ليس عندهم وفاء .. وأصدقاء الطفولة والصبا لايرحمون تدهوره ، وتتحالف عليه المحن ، الزمن الغادر والاصدقاء وعبد الحميد يجتر حسرته فى شعره :

ليت العباد كلابٌ ان كلبتنا
لما تزل لحفاظ الود عنوانا

تحملت قسطها فى البؤس صابرة
لم تشك جوعا ولم تستجد انسانا

ولكن ماذا يفعل هو ، وقد فقد كل شيء حتى المقاومة ، انه يستسلم الآن للمصير الذى انتهى اليه ؛ انه كرجل سقط من فوق عمارة مرتفعة فهو لايستطيع الا أن يدور مع الريح فى كل اتجاه !

دع الشكوى وهات الكاس نسكر
ودعك من الزمان اذا تنكر
وهام بى الاسى والبؤس حتى
كأنى عبلة البؤس عنتر
كأنى حائط كتبوا عليه
هنا يا أيها المزنوق « ترتر »

وهو فى نفس الوقت يحقد على الحياة ، ويتمنى أن تزول ، انه انانى سود الحرمان قلبه ، وحطم نفسه ، انه ذئب هو الآخر .. مثل الآخرين ..

ويا ليت السما تهوى علينا
ويا ليت النجوم الصاعقات

انه ينسى نفسه هذه المرة .. ويذكر « علينا » لاول مرة ، لقد أصبح عبد الحميد شمشون . يود لو تهدم المعبد على رأسه ، وعلى كل اعدائه .. والبشر جميعا أعداء لعبد الحميد

ويدور عبد الحميد فى الحلقة المفرغة حول نفسه ، يستجدى الناس ويشتمهم ، ويقرض شعرا سيظل رغم كل ما يقال فيه ، اصيلا فى حياتنا ، وله فى تاريخنا تاريخ

ولكن عبد الحميد لا ينسى فى ساعات صفوه أن يضحك الناس ، وأن يبهجهم ، يقابله صديق مرة فيتحاشاه عبد

الحميد ، ويهرع الصديق لعناقه ويسأل لمـاذا يتحاشاه ويقول عبد الحميد انه قد قرر ان يتحاشى الناس كلهم؛ فقد أصبح له حذاء جديد وبدلة جديدة ..

ويضحك الصديق حتى يستلقى على قفاه ، فقد كانت البدلة والحذاء من قبل ، ويغيب عبد الحميـــــد أياما طويلة ، ثم يعود للظهور من جديد .. ويسأله صديق عن سر غيبته ويجيب عبد الحميد :

ــ كنت في البلد شفت « الفدانين » ورجعت ، ويتساءل الصديق مندهشـــا :

ــ فدانين ايه ؟ ..

ويجيب عبد الحميد :

ــ واحد صاحبى اسمه محمد الفدانين ..

***

وكان يجلس الساعات الطويلة يروى قصة مغامراته مع النساء وكيف ان سيدة متزوجة من رجل عظيم وقعت فى هواه ، وكيف ذهب معها الى شاطىء البحر ، وقضى معها أياما جميلة بهيجة

ويسكت عبد الحميد الديب ، ثم يرتفع صوت صائحا:

ــ على الطلاق ما حصل يا عبد الحميد ..

ويصيح عبد الحميد على الفور :

ــ على الطلاق ما حصل ..

ويذهب عبد الحميد مع أحد أصدقائه الى قرية قريبة من القاهرة ليؤدى واجب العزاء فى وفاة أحـــد مشايخ الاعـــراب ..

وكان السرادق مكتظا بالناس اصحاب العمائم ويقف عبدالحميد على دكة خشبية ويصيح فى الجالسين وهم آلاف:

ـ أيها الناس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا مات عزيز لديكم فحلوا عمائمكم .. ويخيم الصمت على السرادق ، ويحل جميع الموجودين عمائمهم فى صمت ، ثم يرتفع صوته من جديد ، أعيدوها كما كانت ..

ويكشف عالم من الازهر كان فى السرادق وأخـذته المفاجأة فحل عمامته هو الآخر يكتشف انه ليس هناك حديث نبوى فى هذا الشأن على الاطلاق ..

وتثور الجماهير على عبد الحميد الذى غرر بها ،ويلزم عبد الحميد فراشه بعد ذلك شهرا كاملا لا يستطيع أن يبرحه من أثر الضرب الشديد ..

ولكن عبد الحميد رغم كل شىء يعيش فى مشـاكل لاحصر لها، وهو يريد أن ينسى مشاكله.. ولاسبيل اذن الا المخدرات ، ويغرق عبد الحميد فى بؤرة الهيروين ، ثـم تظهر له وظيفة فى الافق .. عام ١٩٤٣

أرادت السلطة البريطانية ان تظهر للناس قوتهـا فى ميدان الحرب ، فجاءت بطائرة المانية سقطت فى معركة العلمين ، ووضعتها فى ميدان قصر النيل ، ليراها الناس، وكان لابد من رجل يرشد الناس الى قصة الطائرة ،وكان الرجل عبد الحميد ولم تمض شهور حتى أزيلت الطائرة من الميدان ، وعاد عبد الحميد الى الشارع

ثم يأخذه الاستاذ عبد الحميد عبد الحق ويوظفـه بوزارة الشئون الاجتماعية وبـمرتب شهرى قـدره

ستة جنيهـات ..

ستة جنيهات ليأكل وينام ويلبس كما يفعل سـائر الموظفين ولا سبيل الآن الى التسول فهو موظف حكومى كبير .. ويضيق عبد الحميد بالوظيفة وما جرته عليـه فيقـول :

بالامس كنت مشردا أهليا
واليوم صرت مشردا رسميا

ويهجرها الى الابد ، ليعود الى الشارع يشتم الناس، ويستجديهم وتشتد عليه العلة ويقسو عليه الـداء .. وينتهى به الحال اخيرا الى فراش قذر بمسـتشفى قصر العينى ..

وكأنما لمح عبد الحميد نهايته.. لقد آن لهذا الكادح المعذب الذى قست عليه ظروف أقوى منه كثيرا ، هى الظروف التى جرت على أبيه الخراب ، وقتلته محسورا وألقت به هو الى الشارع مع الكلاب .. آن له ان يستريح ويهتف عبد الحميد وكأنه يرى مصيره المحتوم ..

وداعا شبابى فى ربيع شبابى
واهلا حسابى قبل يوم حسابى

ثم يغمض عينيه .. ويستريح الى الابد ..

ولم يترك خلفه شيئا ، سوى عشرات من القصـائد بعضها يصلح للنشر ، وبعضها يعاقب عليه قانون العقوبات، وحجرة قذرة معتمة كان ينام فيها أحيانا ولم يكن بهـا شىء ، كان هو فيها كل شىء ..

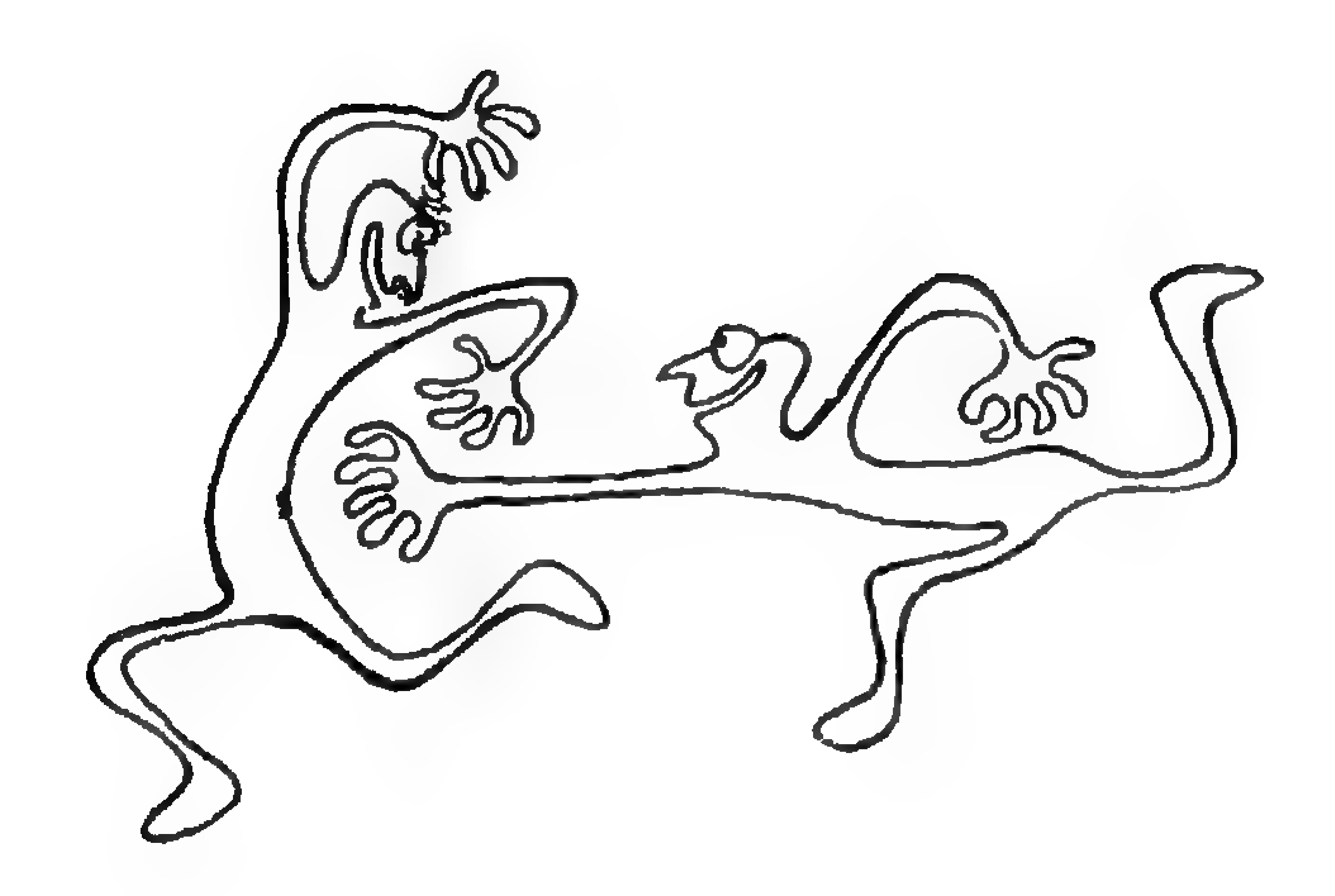
لم يذكره احد عندما مات . رجل واحد فقط ذكر

الناس به فقد كان صديقا له فى حياته هو الشاعر الكاتب المعروف كامل الشناوى فقد كتب يومها يقول :

« اليوم مات شاعر تعرى واكتست الاضرحة ، وجاع وشبعت الكلاب » ..

وكم من الكلاب ماتت بالتخمة ، وكم من الناس ماتوا مثل عبد الحميد الديب من الجوع ..

الأعمى المبصر .. ناجي



شيء واحد كان يحسه ناجي بوضوح .. هو وحدته ، والوحشة التي كان يعانيها والإخلاص الساذج الممزق الذي تتمسك به نفسه الشفافة الحانية ..

ابراهيم ناجى

عاش واحدى عينيه مفتوحة على حقائق بشعة من الحياة، والعين الاخرى نصف مغلقة ، تثقلها الاحلام

هكذا وصف ناقد من معاصرينا الشاعر ابراهيم ناجى٠٠ والحقيقة تخالف رأى الناقد .. فقد عاش ناجى واحدى عينيه مغلقة ، والاخرى نصف مفتوحة .. ومن خلال هذه الفتحة راح ناجى يرى حقائق مشوهة ليست واضحة وبالعين المغلقة راح يحلم بعيدا عن المجموع احلاما حاول ان يفرضها على الواقع ٠٠ ولهذا السبب لم يلمع شعره ـ رغم جدته وقوته ـ لانه لم يدرك ابدا سر القوة التى تجعل من الواقع عالما اقوى واجمل واعذب من الاحلام.. فناجى واحد من الذين لم يكتشفوا سر انقلاب الاوضاع حتى بدت بشعة رهيبة ، فارتدوا منطوين على يأس قاتل .. ولكنهم احيانا كانوا ينطلقون ، كل منهم بنفسه ثم يعود منفردا كما انطلق .. فلم يتح له ولا لغيره من امثاله ان يشعروا بالقوة التى تمنحها الجماهير للذين يعبرون عن ارادتها ، فظل حياته كلها يجتر احزانه، ويغنى للحياة غناء كأنه الانين ٠٠ بائسا يائسا يثير الرثاء ٠٠ ولكن ناجى رغم ذلك لم يفقد ابدا القدرة على الابداع .. وكان له فضل عظيم على شعرنا المعاصر ، فقد استطاع تحريره من أصفاد ثقيلة قعدت به عن تحقيق اهدافه زمنا طويلا ٠٠ وفتح أمامه طريقا واسعا انتهى به على أكتاف

شباب الجيل المعاصر الى دنيا الجماهير يخاطبها ببساطة ويترجم امانيها فى عذوبة او يدفع بعجلة الحياة فى اصرار الى الامام

شىء واحد كان يحسه ناجى بوضوح .. هو وحدته والوحشة التى كان يعانيها ، والاخلاص الساذج الممزق الذى تتمسك به نفسه الشفافة الحانية

ارنو الى الناس فى جموعهم
أشقتهم الحادثات ام سعدوا

تصور ، انه لا يدرى .. وهو نفسه لا ينكر ذلك .. فهو اعظم من غيره .. انه لا يدعى خبرته بالناس والحياة والسر كما قلت انه كان غريبا عن دنيا الناس .. لم يكن يحيا معهم ولا بينهم :

انى غريب تعال يا سكنى
فليس لى فى زحامهم أحد

ومن أجل هذه الوحدة عاش ناجى طول حياته حائرا لايستقر على حال .. ولعل هناك سببا آخر هو غرامه العنيف الذى كان يعيش فيه ويعيش له .. غير انه ـ وهنا العقدة ـ كان غراما من طرف واحد .. فقد كان هو وحده الذى يحب .. أما الطرف الآخر أو الاطراف الاخرى فلم تكن تحس بوجوده .. وان أحست فلم يكن هذا الاحساس يزيد عن كونه شاعرا مشهورا ورجلا من الظرفاء .. والعقدة التى حولت كثيرين من اعلام الفن أمثال لوتريك وكافكا الى هوة سحيقة من اليأس ، هى نفسها التى أمدت ناجى بالامل .. وحلت عقدة لسانه فجعلته لاذعا ومن هنا أيضا جاءت شهرته كواحد من الظرفاء

فناجى الفنان كان ضئيلا قصيرا غير متناسق الاعضاء

ولانه لم يكن مؤمنا بشيء على الاطلاق فقد سخر من كل شيء ، وأثار السخرية على كل شيء .. حتى على عمله وعلى نفسه .. روى مرة انه عاد مريضـــــا مشرفا على الموت فوصف له الدواء واشتراه من جيبـــه ثم منحه جنيها وانصرف ..

ومضت أيام طويلة حتى التقى بزوجـــة الرجـــل المريض ، وكانت سعيدة مبتهجة ، وسألها ناجى عن حالة زوجها فأجابت مسرورة : الحمد لله ربنـــا يخليك لنا يادكتور .. الجنيه بتاعك جبنا به دكتور كويس ، وربنا شفاه والحمد لله .. ويضحك ناجى حتى يستلقى على قفاه ..

وخلال أيام الظلام ، عندما فرض الطاغية فاروق على القاهرة أن تنام فى السادسة من مساء كل يوم .. كان ناجى يحمل تصريحا يخول له حق التجول فى أى وقت يشاء ..

ثم ذات ليلة هاجم كلب ضال ناجى أثناء ســـيره فى الطريق وعضه فى ســـاقه فلزم الفراش ، وراح ناجى يروى القصة لاصدقائه قال :

ـ أنا ماشى الساعة واحدة ، والكلب ماشى ورايا .. أطرده مافيش فايده .. أزوغ منه القاه ورايا .. افتكرته فى الآخر كلب بوليسى .. ورحت مطلع التصريح وعلى طول يا افندم وراح هاجم على وعاضضنى ..

ويضحك ناجى ويقول :

ـ ظهر انه كلب جاهل ما بيعرفش يقرأ ..

ومرة خرج ناجى من عيادته بشبرا فشاهد جنـازة يبدو من مظاهرها انها لرجل فقير ووحيد أيضا ، فلم يكن خلف النعش سوى أربعة رجال يبدو أن الصدفة

وحدها هى التى جمعتهم ، وسار ناجى بدافع الشهامة مع المشيعين ، ثم خطرت له فكرة رائعة ، لماذا لايشترك فى حمل النعش حتى يكسب ثوابا .. ونفذ الفكرة على الفور .. يقول ناجى :

ـ ودخلت على الراجل اللى شايل من قدام .. وقلتلو آجرنى « تعبير يقال فى مثل هـذه المناسـبة فراح مآجرنى على طول زى مايكون كان منتظرنى .. وشلت الخشبة يا أستاذ من شبرا لغاية شبرا البلد .. والميت الله يرحمه كان تقيل .. والدنيا حر .. ولا واحد عاوز يآجرنى .. وصلنا شبرا البلد ، حمدت ربنا لان الترب هناك لـكن المصيبة الـكبرى ان واحد من المشيعين لقيته بيسأل العسكرى ببلاهة : وحياتك قليوب من أى ناحية ؟

ويقول ناجى : وعندئذ سقطت فوق الارض ، والميت من فوقى وعندما أفقت لم أجد أحدا .. سوى الظلام

وكان ـ رحمه الله ـ يستقل عربة مع صديق له فى طريقهما الى الاسكندرية عبر الطريق الزراعى وأوقفت العربة احدى نقط المرور لسبب ما .. وأراد الصديق أن يدلل على أهمية صـديقه لعسكرى المرور ، فقال له مشيرا الى ناجى :

ـ الدكتور ابراهيم ناجى الشاعر الـكبير ..

ونظر العسكرى فى بلاهة الى الدكتور ناجى ثم قال متسائلا :

ـ بتجول شاعر ؟.. امال يعنى لابس ملـكى ليه ؟ !

***

وكان ناجى يضيق ضيقا شديدا بشاعر شاب ثقيل الظل يصر دائما على أن يسمع ناجى قصائده التافهة .. ولم

يكن ناجى يجرؤ ابدا على جرح شعور هؤلاء الشبان الذين كانوا ينهافتون على صداقته .. ولكنه لم يكن يخفى ضيقه بشاعرنا الثقيل .. فقد كان يتبعه كظله .. ثم ظهر ناجى مرة وحيدا وليس معه أحد .. واقبل عليه أصدقاؤه يهنئونه :

ــ مبروك ، خير انشالله ، مات ولا ايه ؟

وصمت ناجى قليلا ثم قال :

ــ أبدا ، سمعت دلوقت ان البوليس قبض عليه ..

ــ قبض عليه ، ليه ؟

ــ ضبطوا معاه قصيدة .. ولو انكر أنها بتمته ، انا حشهد ضده ..

***

ونقده طه حسين نقدا قاسيا فوصفه ، بأنه اديب بين الاطباء ، طبيب بين الادباء . وعلق المرحوم ناجى على هذا النقد القاسى بنكتة فقال :

ــ أنا من هنا ورايح حاكون طول النهار مع «الدكتور» طه حسين و « الدكتور » طه بدوى .. عشان أحس اننى أديب .. هو مش قال على اننى اديب بين « الدكاترة »

***

وكان يحب الشاعر أبا نواس ويفضله على كل الشعراء القدامى ، وكان يقول ان ابا نواس نقطة تطور فى الطريق الذى لا يقف ولا يجمد ــ طريق الفن ــ ويستشهد ببيتين من شعره ليدلل على عظمته .. وفى هذين البيتين كان أبو نواس يسخر سخرية مرة من اصحاب المذهب الاتباعى فى قرض الشعر .. الذين يبدأون بذكر الاطلال

والرسوم الدارسة، ويقضون الساعات الطوال وقوفا يبكون على الذى كان

قل لمن يبكى على رسم درس
واقفـــا ما ضر لو كان جلس

وسأل شاعر شاب الدكتور ناجى عن رايه فى شـعراء العصر الحـديث .. فأجاب :

ـ أعظمهم شوقى
وسأل الشاب :
ـ من يأتى بعده :
وفكر ناجى قليلا ثم قال :
ـ يأتى بعده .. على على
وقال الشـاب مستنكرا :

ـ مين على على ده ؟
وأجاب ناجى :
ـ والله ماعرف ..

وهكذا عاش ناجى ساخرا متفكها يجتر احـــزانه فى صمت .. وان كانت أحزانه قد طبعت شعره ..وحولته حتى أصبح رمزيا .. يحلم بشىء لا يراه .. وهكذا ايضا غلب التشاؤم واليأس على نظرته للحياة .. وكان يراها تافهة لا تستحق العناء . وكان يخشى الغد ويهابه فلم يكن يدرى أن الغد سيكون حتما من نصيب الجماهير ..ولذلك لم يحاول أن يشترك فى صنع الغـــد .. لانه لم يكن يؤمن به ..

ان غدا هوة لنـــاظرها تكاد الظنون ترتعـــد
اطل فى عمقها أسائلهـا افيك آخفى خيـاله الابد

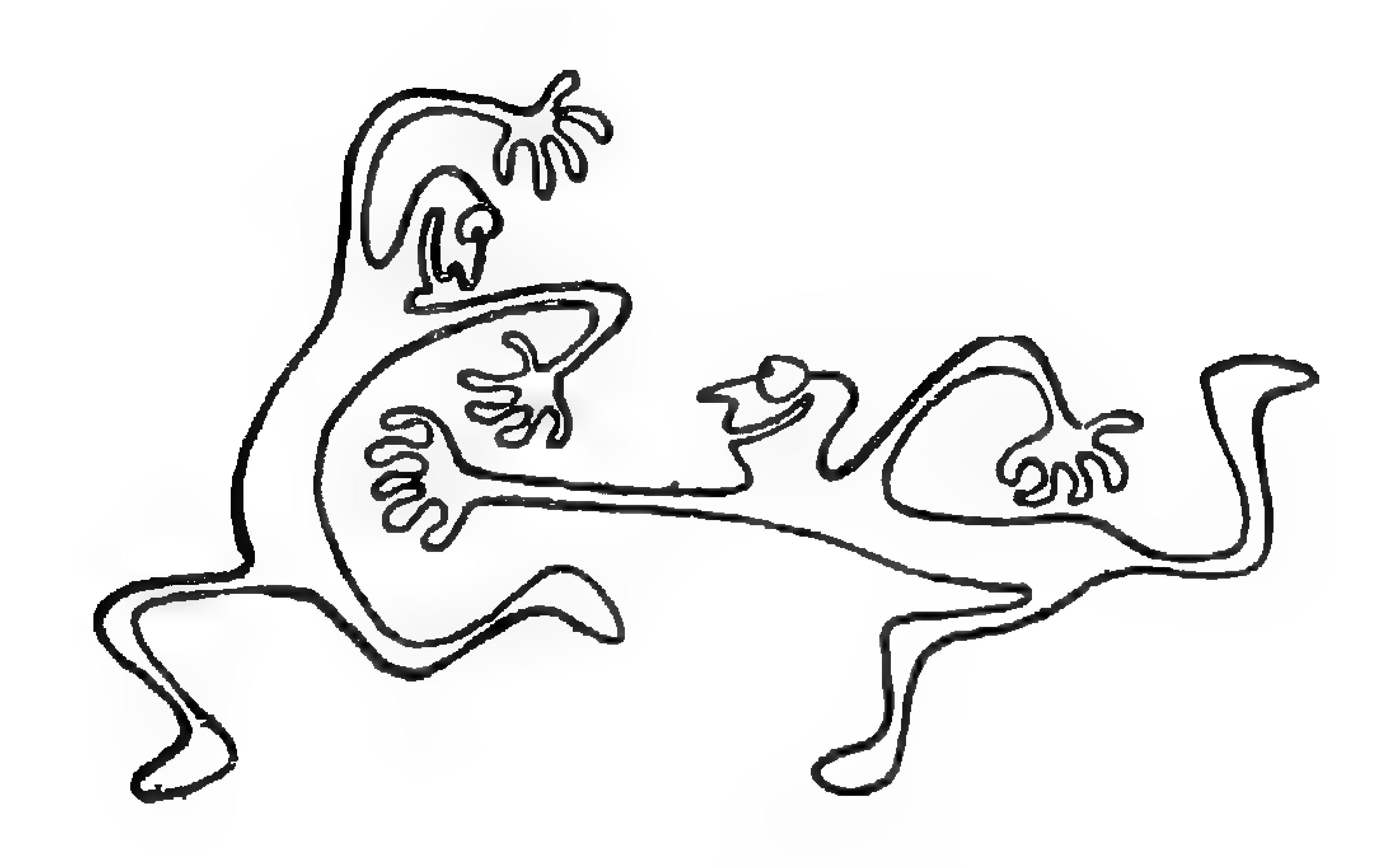
ومرض طويلا قبل وفاته .. وحز فى نفسه ان المبلغ

الذى ادخره طول حياته استنزفه الاطباء لعلاجه. علاجه هو الاديب الطبيب الذى كان يفحص المريض ثم يشترى له الدواء والطعام ثم يمده بشيء من المال ان استطاع وعندما شفى من مرضه قال ضاحكا :

ـ كل ماجيب واحد دكتور ياخد فلوس فلوس ·· اللى ما لقيت واحد رفض ·· يكونش احنا مش دكاتره

وعندما مات كان فى عيادته يمارس عمله .. وفجأة سقط على الارض يتلوى من الالم .. وقبل ان يسعفوه كان قد مات .. وذهب الشاعر الاديب الظريف ابراهيم ناجى . الرجل الذى قضى حياته كلها ، واحدى عينيه مغلقة والاخرى نصف مفتوحة ، حتى مات ، فقدر له ان يغلقهما .. ولن يستطيع فتحهما بعد ذلك أبدا .. فقد ترك من خلفه شعرا مثل عينيه لا يكاد يكشف ما فى دنيا الناس من اوضاع خاطئة .. الا قليلا

رب القالب .. حفنى



استخدم حفنى محمــــود هذه الموهبة ، موهبة صنع «القالب» فى كل مهنة عمل فيها . استخدمها كسياسى واســـــتخدمها كوزير ، واســـــتخدمها ككـــاتب ، وكصحفى وكصديق ، وكان أولا وآخرا يستخدمها كانسان

حفنى محمود

لا أدرى كيف أبدأ الكتابة عن حفنى محمود . هل أكتب عن حفنى محمود ابن الذوات ، سليل الاسرة القوية الثرية فى الصعيد أم عن حفنى محمود السياسى ذى النظرة البعيدة ، والقبضة السحرية التى تجمع بأطراف كل الخيوط . أم عن حفنى محمود الاديب ، صاحب الاسلوب الساخر ، والنظرة الواعية بكل ما يحيط بها من امور ..

أم عن حفنى محمود رجل السلام ، أول (باشا) من أسرة كل أفرادها من أهل اقطاع ، وهواة حكم ، وهو يدعو للحب ، ويدعو للسلام . ويمجد الحرية ويهتف لها ..

أم عن حفنى محمود صاحب « المقالب » المشهورة ، التى أضحكت الناس حينا ، وأبكتهم أحيانا . وكانت خير انتاج حفنى محمود الفنان . الحقيقة اننى فضلت أن أكتب حياته من خلال هذه « المقالب » والسبب ، أن حفنى محمود كان فنانا . لم يجد ردا صادقا يمكنه ان يرد به على أوضاع المجتمع المقلوبة الا أن يسخر به ، وبأوضاعه ، وبمن صنعوا هذه الاوضاع . ان الذين صنعوا هذه الاوضاع حفنة من الناس تنتمى الى طبقة هو أحد أبنائها !

ولكن ماذا يهم ؟ انه ككل فنان يعمل ما يرضى الرجل الفنان . ثم بعد ذلك ، فليأت الطوفان .. ولكنه لا ينسى

الذين استسلموا لهـذه الاوضـــاع المقلوبة ، والذين ارتضوها • وهم عامة الشعب • ولذلك كانت سـخريته من الجميع ، ومقالبه كان يقع فى شراكها ، أبناء الشعب وأبناء الذوات كذلك

واخترت أن أكتب حياة الرجل من خلال هذه المقـالب لسبب آخر هو أن حفنى محمود استخدم هذه الموهبة •• موهبة صنع « المقالب » فى كل مهنـــة عمـــل فيها •• استخدمها كسياسى واستخدمها كوزير واســـــتخدمها ككاتب ، وكصحفى ، وكصـــديق وكان أولا وأخـــيرا يستخدمها كانسان

وفى هذا الحيز الضيق سأحاول جاهدا أن أسرد بعض « مقالب حفنى محمود » تاركا للقارىء استخلاص العبرة ، واستخلاص الموعظة ، واستيعاب ما تقطره من ســخرية حمراء •• كالدم ••

فى أول عهد الوزارة الوفدية الاخيرة كان يتولى منصب مدير المطبوعات فى وزارة الداخلية ، زميل طيب جـدا هو الدكتور عبد الباسط الحجاجى • ورفع حفنى محمـــود سماعة التليفون وطلب الدكتور الحجاجى • ودارت بينهما المناقشة التالية :

ــ حضرتك عبد الباسط الحجاجى

ــ أيوه يافندم

ــ أنا مدير شركة هيكل فيلم

ــ أهلا وسهلا

ــ فيه والله قصة قدمتها الشركة من شهر ولم تخطرنا الرقابة بعد بالموافقة ، مع أن شركة نحاس فيلم قـدمت قصة بعدنا ووفق عليها ، فالمسألة اذا كانت محســوبيات

عشان نحاس فيلم بتاع رفعة الباشا وهيكل فيلم في المعارضة ، يبقى المسألة لها وجه تانى ..

ــ لا يافندم مافيش محسوبيات أبدا ٠ وأنا كمان ماكنتش أعرف أن نحاس فيلم بتاع رفعة الباشا ، وكمان ماكنتش أعرف أن هيكل باشا عامل شركة افلام ..

ــ لا أهوه ده اللى حصل

ــ طيب الصبح ان شاء الله ، رايح اطلب القصة بنفسى واشوفها ..

ــ متشكر ..

ــ مين اللى بيتكلم يافندم ؟

ــ هيكل باشا ..

وفى الصباح طبعا ٠ طلب مدير المطبوعات قصة شركة هيكل فيلم ، وروى قصة المكالمة التليفونية بينه وبين هيكل باشا ، وكانت فضيحة كبرى

***

يدعو أحمد خشبه رئيس الوزراء محمد محمود الى حفلة غداء فى بيته ٠ ولا يدعو اليها بقية الوزراء

ويمسك حفنى محمود سماعة التليفون ليتصل بالوزراء واحدا بعد آخر يدعوهم للغداء على مائدته ٠٠ مقلدا أصوات خشبة ويفاجأ خشبة وضيفه بجميع أعضاء مجلس الوزراء يفدون الى دار خشبة قبل الغداء بدقائق ٠ ويضرب محمد محمود المائدة بقبضة يده وهو يصرخ :

ــ عملها حفنى ، عملها حفنى « بضم الحاء »

***

ويطلب اليه أحد تجار الخشب أن يتوسط له عند حيدر

باشا ، وكان وقتئذ قائد عام القوات المسلحة • يطلب اليه أن يحدثه فى أمر ابن شقيقته العسكرى بالمشاة ، لكى يخلى سبيله

وتصور أنت رجلا يطلب اليك أن توسط له قائد عام القوات المسلحة فى أمر يتصل بجندى نفر فى سلاح المشاه • وينسى حفنى محمود الحكاية كلها ، ولكن الرجل يتعقبه •• فى الصباح وفى المساء • وفى البيت وفى المقهى ، وفى الشارع وفى كل مكان

ويضيق حفنى محمود بالرجل فيعتزم أمرا وفى منتصف الليل أمسك حفنى محمود بسماعة التليفون وطلب حيدر فى منزله • ودار الحديث الآتى :

ـ حيدر باشا

ـ أيوه ، مين ؟

ـ أنا عبد القادر جوده تاجر الخشب

ـ أى خدمة يافندم

ـ أيوه ، عندكم الواد ابن أختى فى سلاح المشاة ، وعاوزك تديله أجازة

ويفاجأ حيدر باشا بهذا الطلب الغريب من رجل لا يعرفه بعد منتصف الليل ، فيسأل المتحدث :

ـ حضرتك عاوز مين ؟

ـ حيدر باشا بتاع الجيش

ـ وعاوزه عشان الحكاية دى ؟

ـ آه ، ايه يعنى •• كبير حيدر باشا ؟

ـ لا : ولا كبير ولا حاجة ، بس اقفل السكة • •

ـ أقفل السكة يالى ••

وانتهت المحادثة • ولكن بعد أن استمرت ثلاثة أيام متتالية وفى نفس الموعد

ثم طلب حفنى من تاجر الاخشاب أن يذهب لمقابلة حيدر فى مكتبه بقصر النيل •• ويفرح الرجل ويذهب

كانت الساعة قد بلغت الواحدة ظهرا وحيدر فى مكتبه عاكف على دراسة بعض الشئون الهامة ، حين دخل سكرتيره ليقول له ، ان بالخارج تاجر اخشاب اسمه عبد القادر جوده ، ويريد مقابلتك

ويقفز حيدر عند سماعه الاسم ..
ونام تاجر الخشب عشرة أيام فى المستشفى بعد ذلك ؛ وكانت درسا قاسيا لن ينساه
ورجل آخر يطلب من حفنى محمود أن يقدمه الى أحد الامراء السابقين ليتولى طبع كتاب له ضد حزب الاحرار الدستوريين (ولاحظ أن حفنى محمود من الاحرار) ويعتذر حفنى محمود ولكنه يعطى للرجل الرقم السرى لتليفون الامير ويطلب اليه أن يحدثه فى الامر

ويتصل المؤلف بالامير ، ويطلبه الامير فى الحال ليطلع على أصول الكتاب ، فقد كان الامير وقتئذ خصما لمحمد محمود ، وبين الاثنين عداوة شديدة

ويطير الرجل من الفرحة ، ويهرول الى قصر الامير ويمسك حفنى محمود بسماعة التليفون ويتحدث الى الامير على النحو الآتى :
ـ ألوه ، أفندينا

ـ أيوه ، مين
ـ أنا المؤلف اللى كلمت سموك من دقيقة
ـ أيوه ، عاوز ايه تانى ، أنا قلتلك تعال ••

ـ لا فيه حاجة واحدة بس عاوز أقولها وهى انك حمار ومغفل . وانك تتمتع بأخلاق عربجية مش أخلاق أمراء

ويرطن الامير بكل لغات الارض سبا فى صاحبنا المؤلف المظلوم ..

ـ خـــرسيس ، كلب بن كلب ، اوعى تيجى ، أحسن اقتلك ..

ـ لا ، وانا هاجى رغم انفك عشان أقول الكلام ده فى وشك (**)

وينهى حفنى محمود المناقشه عند هذا الحد

كل هذا ، وصاحبنا المؤلف يهرول سعيدا الى قصر الامير وعندما بلغه كانت الساعه الخـــامسة بعد الظهر ، وكان أمام الباب أكثر من عشرة رجال سود من خــــدم القصر ، وفى أيديهم مقشات وعصى ، وأشياء أخرى ، فقد أمرهم بضرب المؤلف علقة ساخنة عندما يصل

وما كاد المؤلف المسكين يلفظ باسمه حتى انهال جميع الخدم عليه ضربا وركلا حتى فقد وعيه .. وحتى أصول الكتاب مزقها الرجال السود

وخلال الازمة التى نشبت بين عبد الفتاح الطـويل ووزارة الوفد الاخيرة ، طلب حفنى محمود رئيس تحـرير احدى الصحف اليومية الكبرى ودار الحديث الاتى :

ـ ألو . أنا الطويل فيه مقال أرسلته للجريدة منـــذ دقائق وسيصلك حالا بعنــــوان .. « السر الحقيقى وراء الازمة الوزارية »

ويفرح رئيس التحرير للنصر الصحفى الكبير ثم يعود حفنى محمود الى الحديث فيقول :

ــ بس والله قبل النشر تبقى تعرضه علينا

ــ حاضر يافندم

ــ وهكذا أعد المقال للنشر فى الصفحة الأولى . وفى الساعة الثالثة صباحا دق جرس التليفون فى بيت عبد الفتاح الطويل وكان المتحدث هو رئيس التحرير

ــ عبد الفتاح باشا : صباح الخير

ــ صباح النور يافندم ، ايه الحكاية

ــ المقال بتاع معاليك أعد للنشر خلاص

ــ مقال ايه ؟

ــ المقال اللى بعته

ــ أنا ماكتبتش مقالات خالص · بعنوان ايه ده ؟

ــ « السر الحقيقى وراء الازمة الوزارية »

وينتفض عبد الفتاح الطويل من الغيظ ويصرخ فى وجه رئيس التحرير :

ــ لا ·· أنا رايح أبلغ النيابة

ويقدم فعلا بلاغا للنائب العام ·· ولم يظهر المقال بالطبع ·· وكشف التحقيق أن صاحب المقال هو حفنى محمود ..

ومن هذا النوع عمل حفنى محمود مقالب كثيرة ولكن أخطرها جميعا كان فى منزل أحمد الالفى عطية · وكان سيروح ضحيته صاحب المنزل ·· لولا الصدفة وحدها

كان حفنى محمود يسهر مع الالفى عطيه فى منزله · وكان معهما كامل الشناوى ويوسف الشريعى · وفى الثالثة اعتذر الشريعى عن اضطراره لترك السهرة لأن فى

منزله ضيوفا من أسرة السعداوى ، أقوى القبائل العربية فى الاقليم ..

ويخرج الشريعى ، فيتصل حفنى محمود بمنزله فيرد عليه واحد من الضيوف ، افراد اسرة السعداوى. ويقول حفنى محمود :

ـ مين انت ، ادينى واحد مهم شوية ، واحد مهم شويه من فضلك ، ويأتى زعيم السعداوية ليرد عليه

ـ ايه الحكاية

ـ يوسف الشريعى مات ، الرجل اللى اسمه الالفى عطية ضربه بالنار دلوقت فى البيت اللى قصادكم على طول ..

ويخرج أفراد أسرة السعداوى جميعا مسلحين ، ويحاصرون بيت الالفى ، فقد قرروا قتله . لولا أن عاد الشريعى مرة أخرى الى منزل الالفى عطية بعد أن ذهب الى منزله فلم يجد أحدا من الضيوف ، وظن أنهم سافروا الى الصعيد . ولكنه فوجىء عند عودته الى بيت الالفى عطية ، بالضيوف جميعا يحاصرون المنزل ، وهم على أتم الاستعداد لقتله عندما يهم بالخروج

وبلغ من جبروته فى هذا الفن أنه استطاع أن يقنع رجلا صاحب صيدلية بالنوم فى فراش أحد المستشارين . وأن يفرق بين حافظ محمود وصديقه محمد الاسمر عاما ، وأن يقنع محمد محمود بضرورة تعيين أحد القضاة بالمعاش وزيرا ، لان حفنى محمود كان يتضايق من وقاره الشديد أثناء جلسته فى بار اللواء ، وأن يتفق مع طه الفشنى وبطانته باحياء ليلة مولد فى دسوق ، ويسافر الشيخ الفشنى ومعه البطانة الى دسوق فلا يجد أحدا بهذا الاسم

الذى انتحله حفنى محمود .. عبــــده بك دبور .. ولكن حفنى محمود الانسان يرسل فى اليوم التالى بمبلغ خمسين جنيها للشيخ الفشنى ، نفس الاجر الذى اتفقـا عليـه بصفته عبده بك دبور

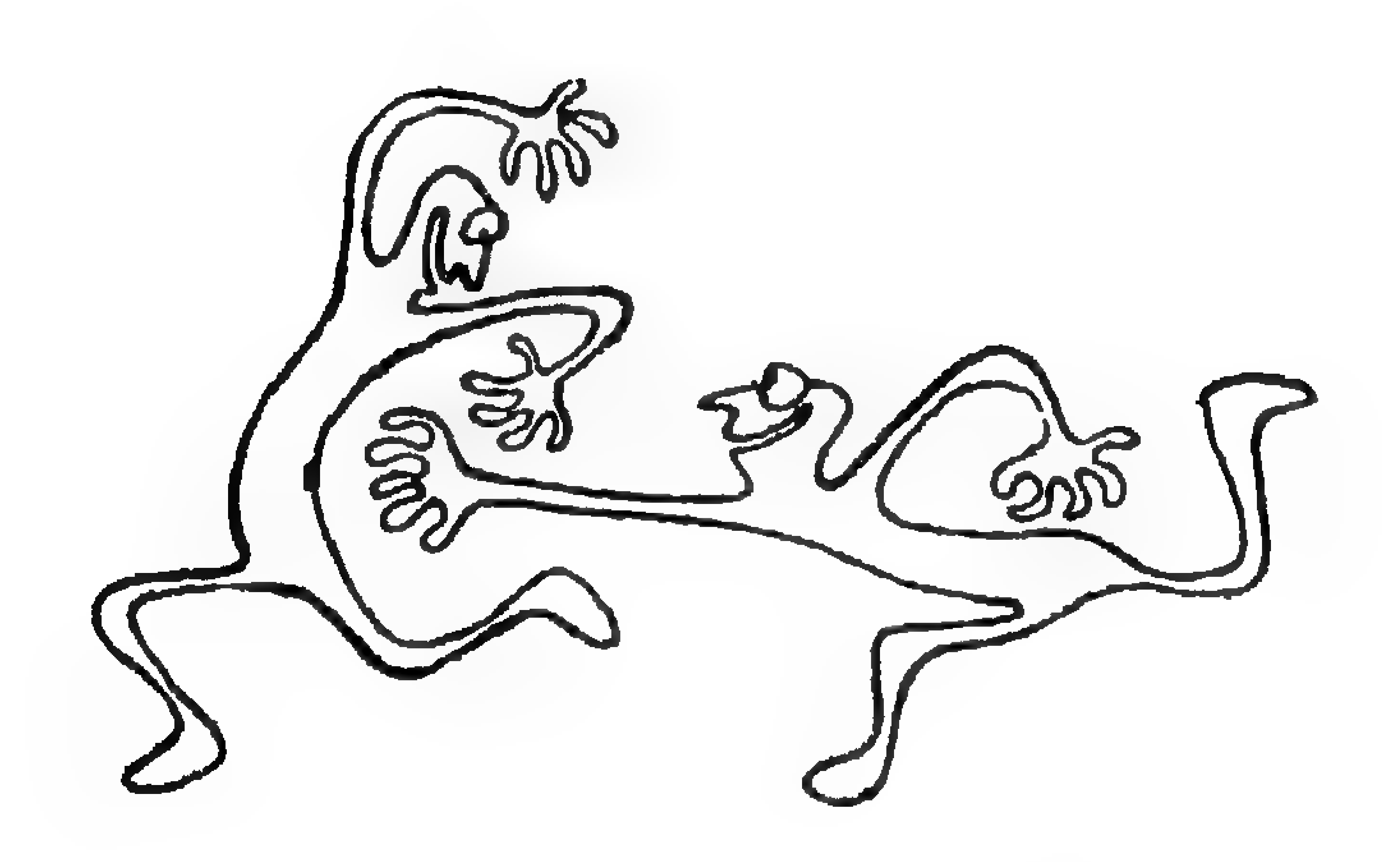
وهكذا عاش حفنى محمود الى آخر أيام حيـــاته يضحك من الناس ويضحك عليهم .. وكان يحب الليل فـــكان يسهره كله ولم يحدث أن أوى الى فراشـــه قبل اشراقة الصباح ..

وكما عاش خفيفا كالفراشة .. مات فجأة كالخيال

وهكذا خبا الضوء فى العيون الذكية

وجفت الابتسـامة على الفم الذى لم يعرف فىحياته الا الابتسـام ..

المازني .. ثالث الفرسان



المازنى الضاحك خير من يقول النكتة حتى ولو كانت على نفسه .. فهو الذى أطلق على نفسه وعلى الأستاذ العقاد رقم «١٠» فالعقاد طويل ، مفرط فى الطول كرقم واحد والمازنى قصير مثل الصفر ...

ابراهيم المازنى

ثلاثة فرسان ظهروا فى عالم الادب فى مرحلة دقيقة خطيرة .. مرحلة انتقال من عصر يقلد ويحاكى ويتمسك بالاطار القديم دون الموضوع ، لان الموضوع لم يكن له وجود فى أدب المدرسة الاتباعية ثم جاء الفرسان الثلاثة فى هذه المرحلة الخطيرة التى اخذ الادب فيها ينسلخ من أرديته القديمة ، الى عالم جديد يهتم بالمضمون ويعنى بالتعبير عن النفسية الفردية ، والنفسية الجماعية على السواء وكان الفرسان الثلاثة هم : عبد الرحمن شكرى وعباس العقاد ، وابراهيم عبد القادر المازنى

***

وعاش المازنى حياته يكتب ويؤلف ويترجم ويشتغل بالصحافة ، وكان المازنى قبل ذلك يعمل مدرسا ثم ناظرا لمدرسة ثانوية حتى قامت الثورة المصرية عام ١٩١٩ فنزل المازنى الى الميدان بقلمه ، يكتب كل يوم مقالا من نار فى صحيفة « الاخبار » مع الاستاذ أمين الرافعى ، وعندما توقفت « الاخبار » عن الصدور عام ١٩٢٥ ، وقف المازنى حياته على الكتابة والتأليف والاشتغال بالصحافة حتى مات فى اغسطس عام ١٩٤٩

وبين اغسطس عام ١٨٩٠ ، وهى السنة التى ولد فيها المازنى واغسطس عام ١٩٤٩ عاش المازنى حياة ثائرة قلقة شديدة التأثر والانفعال .. وكان المازنى ساخرا

.. ساخرا بالاوضـــاع ، ساخرا بالقيم المتحجرة التى صنعها بعض البشر ..

ومن خلال هذه السخرية ولد ادب المازنى الخالد .. خالد لان أدبه كان مصريا ، فيه بساطة المصرى ومرحه وايمانه الشديد بالقضاء والقدر

وهـــذه النقطة بالذات ـ الايمان الشـــديد بالقضاء والقدر ـ أخذها الكثيرون على المازنى وهاجموه طويلا ورموه باليأس ، ولكن هؤلاء المهاجمين نسوا أو تناسوا ان المازنى كان أصدق أدباء العصر الذى عاش فيه ..

لم يكن للمازنى حزب معين وربما كان سعديا .. ولكن هذا الميل لم يظهر له أثر فى كتاباته .. فظل صـــديقا للجميع ، وعلى علاقات طيبة بالاحزاب جميعا ، وكتاباته تجد ترحيبا لدى المؤيدين والمعارضين

ولعل سر سخرية المازنى .. صـــورته .. فقد كان قصيرا نحيفا أعرج من أثر حادث قديم

ولعل أصـــدق وصف للمازنى ما كتبه هو فى مقدمة روايته الطويلة « ابراهيم الكاتب » فقال :

« اننى سمح متواضع ، ربض ، ســلس عطـوف ، مغتبط بالحياة ، راض عنها قانع بها ، أتلقى الحياة بغير احتفال ، وأفتر للدنيا عن أعذب ابتساماتى ، وأحس السرور يقطر من أطراف أصابعى كالعرق »

وكان شغوفا جدا بكتابات الكاتب الامريكى الساخر مارك توين ، واستطاع المازنى أن يجد لسخريته اللاذعة مجالا من المضمون المصرى الذى يعيش فيه ، فجاءت قصصه مصرية صميمة ـ بالنسبة لعصره ـ وايضـــا بالنسبة لمـــا ظهر قبله ، قصـــة « زينب » لهيكل ،

و « حديث عيسى بن هشام » لمحمد المويلحى ، وساعده اشتغاله بالتدريس فترة طويلة على مخالطة الناس والاحتكاك بمختلف البيئات ، وملاحظة الافراد ومراقبة سلوكهم ، ولذلك تعتبر قصص المازنى مرآة للعصر كله

ولعل انتاج المازنى يعتبر القاعدة التى استند اليها كتاب القصة من الشباب فى جيلنا المعاصر ، وعناوين قصصه تدل على مدى التجديد والجرأة فى التجديد كذلك ، « ع الماشى » ، و « ميدو وشركاه » ، و « على الحديدة » ، و « الدكان » ، ويقحم العامية فى الاسلوب العربى أحيانا

والمازنى أيضا كان أصدق الكتاب فى وصفه ، لم يصف الشمس مثلا بأنها كطبق من الذهب ، بل كان يتعمد اختيار وصفه من محيطه من الاشياء التى تقع عليها عيناه

انه يقول مثلا : « أقدم من هرم خوفو » ، « معدتى طاعنة فى السن كمخلاة قديمة» «أشكال ليس لهامارف كدرهم المسيح »

وهو يصف زنجية فيقول :

فكأنها زير عليه ابريق مقلوب فوقه كرة ذات ثقوب

وهو يصفق الزواج فيقول :

« الزواج يشبه لبس الحذاء ، والاعزب كالذى اعتاد الحفا » . .

وهو فى كتاباته سريع النكتة ، جمله قصيرة متلاحقة مثل طلقات الرصاص ، تماما مثل مارك توين وأوسكار وايلد :

« وكانت لا تريد أن تتزوج ، وصدقت فما تزوجت لانها ماتت »

« كانت مشاكله كثيرة ، حتى انه كان لايملك الا أن يبدو سعيدا »

« كان شديد السكر ، حتى انه كان يمشى متزنا »

***

وعندما نترك المازنى الاديب ، نرى المازنى الضاحك خير من يقول النكتة ، حتى ولو كانت على نفسه ، فهو الذى أطلق على نفسه وعلى الاستاذ العقاد رقم ١٠ ، فالعقاد طويل ، مفرط فى الطول كرقم ١ ، والمازنى قصير مثل الصفر ..

وحدث مرة أن هوجم المازنى والعقاد وواحد من أسرة النشاشيبى فى مدينة القدس ثم أطلق عليهم مجهول النار ثم انطلق هاربا ، وأثناء اطلاق الرصاص انطرح العقاد أرضا ، وأطلق النشاشيبى ساقيه للريح ، وبقى المازنى مكانه ، وسألوه بعد ذلك عن سر ثباته أمام الرصاص فأجاب :

ـ أنا خفت أجرى .. الراجل يشوفنى ! ..

وكتب مرة فى مقدمة كتاب له يحوى عدة قصص قصيرة يقول :

« يحوى هذا الكتاب عشر قصص قصيرة ، سهرت فى كتابتها الليالى الطويلة ، ولقيت فى طبعها عنتا وارهاقا ، وقدمته لك أيها القارىء بعشرة قروش ، أى أن القصة الواحدة لا تساوى الا قرشا واحدا »

وروى مرة انه ذهب الى طبيب اذن يشكو اليه من صمم جزئى الم به ، ودلل للدكتور على صحة شكواه بأنه لايسمع جيدا الطرق على الباب ، فوصف له الطبيب دواء مقويا للسمع ، وبعد فترة طويلة سأله الطبيب عن

حاله ، فاجاب على الفور :

ـ أبدا ، ودانى زى ماهيه ولـكن باسمع الخبط على الباب كويس ، يظهر ان الدواء يقوى الخبط !

وحدث أن اشترى العقاد صديريا جميلا من فلسطين ، ورآه المازنى فأعجب به جدا ، فقال للعقاد :

ـ انت لازم تجيب لى صديرى المره الجايه ، أعمله بالطو ..

ودخل المازنى مرة مذعورا داخل « دار الهلال » يسأل كل من يلقاه :

ـ ما فيش واحد طويل دخل هنا ؟ !

ولما سألوه عن سر لهفته فى السؤال عن الرجل الطويل أجاب :

ـ أصله خلانى ماشى وداس على طربوشى

وأعطى ســـاعته لساعاتى « يملؤها » له ، وبعد أن تسلمها اكتشف انها ما زالت على حالها تؤخر تارة ، وتقدم تارة أخرى ، فقال المازنى :

ـ الراجل اديت له الساعة يملاها ، يظهر انه ملاها منى ..

وأهدى مرة نسخة من كتابه الى أحد الاصـــدقاء ، ووعده الصديق بقراءته ، ثم مضت فترة طويلة والصديق يعتذر عن عدم قراءته ، وقابله المازنى ذات يوم ، فسأله فى جد بالغ :

ـ انت كنت بتعوم فى النيل امبارح ؟

ـ ليه ؟

ـ أصلى لقيت نسخة من كتابى فى الميه !

وجاء مرة المـــازنى الى بعض اصـــدقائه فقال لهم فخورا :

ـ تعرفوا النهاردة انا حميت فلان من « علقة » كان راح ياكلها ..

وتساءل الاصدقاء جميعا فى دهشة :

ـ ازاى ؟ ..

ـ أنا ماشى مع فلان واتشـــاكل مع واحد تانى ، والراجل حلف لازم يضربه « علقه » لحد ما يموته

ـ وبعدين ؟ ..

ـ وبعدين الراجل بص ناحيتى وقال :

ـ طيب حاسيبك عشان خاطر العيل اللى معاك ..

***

وهكذا كان المـــازني الانسان ، خفيف الظل ، حلو النكتة ، حاد السخرية مثل المـــازنى الاديب ، غير ان المازنى الاديب لازمته مسحة من التشاؤم جعلته يقول فى مقدمة كتابه « حصاد الهشيم » :

ما مصير كل هذا الذى سودت به الورق وشغلت به المطابع ، وصدعت به القراء ؟.. انه كله سيفنى ويطوى بلا مراء ، فقد قضى الحظ أن يكون عصرنا عصر تمهيد ، وأن يشتغل أبناؤه بقطع هذه الجبال التى تسد الطريق ، وتسوية الارض لمن يأتون من بعدهم

ومن الذى يذكر العمال الذين سووا الارض ومهدوها ورصفوها ؟.. فلندع الخلود اذن ، ولنسأل :

ـ كم شبرا مهدنا من الطريق ؟.

ولـكن هل هذا كلام متشائم .. ؟

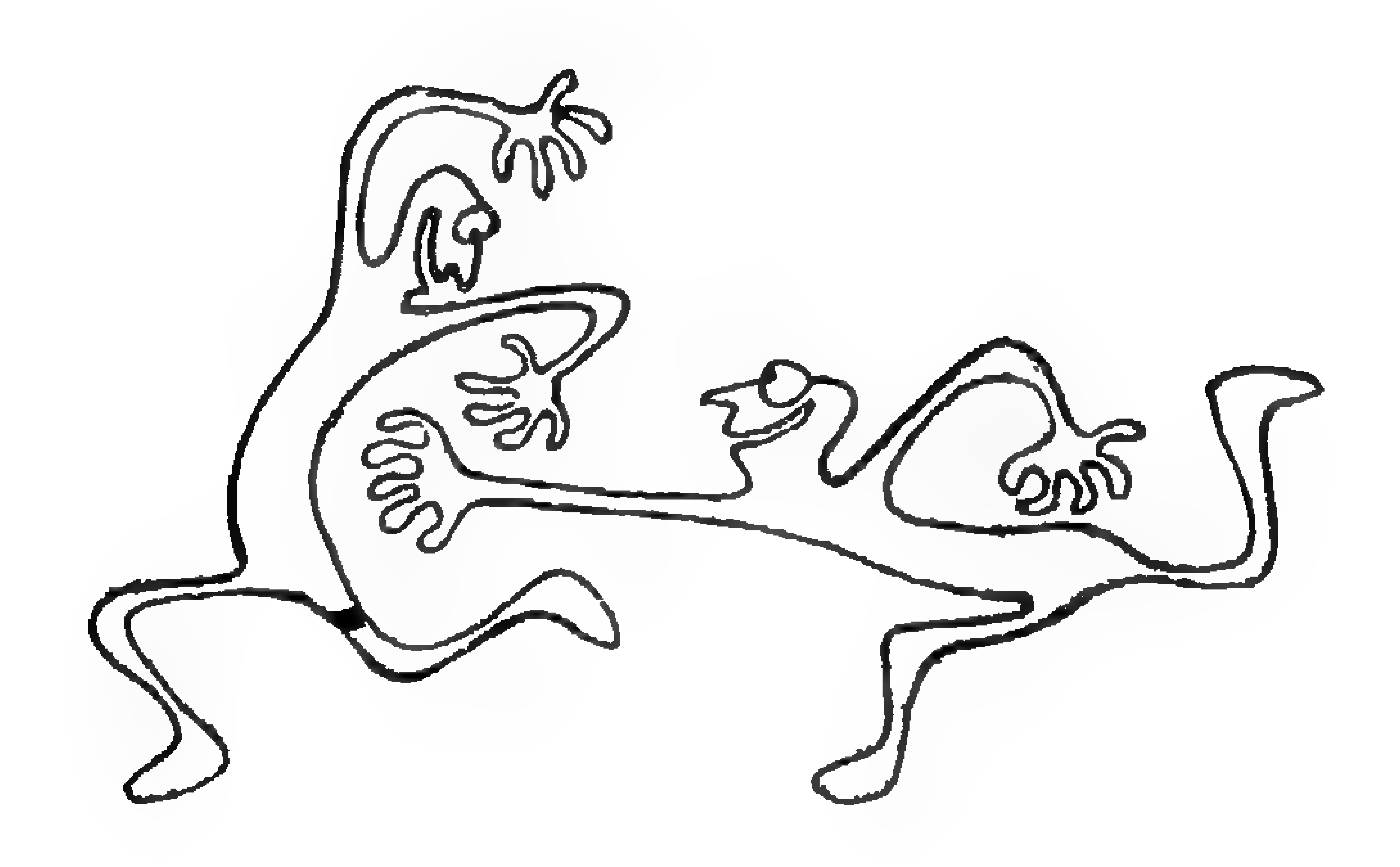
ابدا ، انه من خلال تشاؤمه يبدو متفائل النظرة الى المستقبل واثقا كل الوثوق من سعادة الاجيال المقبلة ، فخورا بالاشبار التى مهدها فى الطريق الشـــاق الطويل نحو المستقبل الزاهر

ويكفى المازنى انه مات بعد أن مهد شـــوطا طويلا ، واستطاع بحق أن يصبح على رأس كتاب القصة الطويلة والقصيرة فى بداية القرن العشرين ، ويكفيه انه مهد الطريق لغيره ..

وصحيح ان المازنى مات ..

ولكن ، بقى انتاجه ، وظلت البشرية وستظل ، سعيدة بانتاجه ، مقدرة للأميال الطويلة التى مهدها من الطريق

كوكتيل من التاريخ



ضـــاق بالحياة وبالنـــاس فاعتزل العالم وانزوى وحده يجتر مصيره فى صـــمت ، ولم يلبث أن ضـــــاق بنفســــــه ، فراح يهاجم نفســــــه بعنف ... !

شفيق المصرى

رثاه أحد الكتاب بعد موته فقال : « أخيرا مات الرجل الضاحك ، وانطبق الفم الذى لم يفارقه الابتسام »

فكان يتحدث مبتسما ، ويأكل مبتسما ، وينام مبتسما ، ويبكي مبتسما ، واغلب الظن انه لقى عزرائيل بنفس الروح التى كان يلقى بها الحياة

ولم يكن هذا الرجل .. الا حسين شفيق المصرى

ولقد كان حسين شفيق المصرى مدرسة فى فن السخرية ، سخر من كل القيم التى كانت تسود عصره ، سخر من كل الاوضاع ، وسخر من الناس ، وسخر من نفسه ، وسخر من النظام ، وسخر من القانون ، وغالى أحيانا فى سخريته ، فانقلبت الى تهريج

ولكنه كان بالرغم من ذلك ، أبرع من استخدم النكتة كسلاح وأعظم من عالجها كفن

ولقد تألقت وتبلورت فى حسين شفيق المصرى روح مصر على مر السنين .. فهو سيبويه المصرى الذى كان يطوف الاسواق ممتطيا حمارا يخطب فى الناس ساخرا بكافور ، وهو الاسعد بن مماتى الذى ألف الفاشوش فى حكم قراقوش ، وهو ابن سودون المصرى الذى أضحك الناس وأبكاهم أيام المماليك ، وهو امتداد ليعقوب صنوع وقبس من شعلة النديم ، ومزيج من البشرى ، والعبد ، والبابلى ، وكل من سبقوه .. ولكن هذا الثائر الساخر سقط سقطة شنيعة لم يهو اليها أحد .. فكان

من اعنف الذين هاجموا سعد زغلول ؛ وكان ميدانه مجلة « الكشكول » ..

ولو اننا نظرنا الى هذه السقطة من زاوية أخرى ، لراعنا شيء غريب .. فهذا الثائر الساخر الذى اختار طريقا معاديا للشعب قدر له أن يكون الرجل الوحيد فى مصر الذى يكتب هجوما مرا ضد سعد زغلول . ومع ذلك يقرأه الناس ، حتى أخلص رجال الوفد . وحتى اخلص شبابه حماسة وايمانا به .. وهنا تبرز عظمة حسين شفيق المصرى كفنان ..

ولقد كان سعد زغلول يتمتع وقتئذ بشعبية ساحقة ماحقة حتى لقد قال البعض : كانت اشارة واحدة من سعد ، تكفى لاشعال نار الثورة . واشارة أخرى تكفى لاخمادها ، وكان سعد ساحر الشخصية عملاق الزعامة ، كلماته قرآن وأوامره قوانين وخطبه أقدس من المعلقات السبع ، وكانت أعظم الصحف انتشارا تقتلها اشارة عن سعد وأعظم الافكار قوة ، تسحقها كلمة من سعد وعندما اصطدم فن شفيق المصرى بزعامة سعد زغلول ، كان الصدام رهيبا ، ولكنه أثبت على أية حال ان الفن الاصيل أقوى من الزعامة ، وأمضى سلاحا من كل أسلحة الزعيم ..

ففى الوقت الذى كانت فيه الجماهير تحتشد فى فناء بيت الامة تستمع مشدوهة الى خطبة الزعيم .. كان كل فرد منهم يخفى بين طيات ملابسه نسخة من مجلة « الكشكول » ليقرأ فيها بعد الانتهاء من سماع خطبة الزعيم « نكت » حسين شفيق المصرى عن الزعيم نفسه

ولكن من هو حسين شفيق المصرى ؟.. ومن أين جاء هذا الفتى الطويل النحيل صاحب الملامح التركية ذو

اللسان الطويل .. اغرب شيء ، ان حسين شفيق المصرى ليس مصريا ، وهى ظاهرة غريبة أن يكون أعظم أثنين كتبا اللغة العامية واستخدماها كما لم يحدث من قبل ولا من بعد ، اغرب شيء أن يكون هذان الاثنان ليسا مصريين .. فأحدهما تونسى وهو محمود بيرم التونسى ، والثانى تركى .. وهو حسين شفيق المصرى

كان أبوه محمد بك نور نموذجا للتركى المتعجرف المتلاف ، كان يملك عزبة فى قليوب . وعندما مات ، كان قد فقد كل شيء تقريبا .. الارض ، والقصر ، والخيل .. وذهب الى القبر ، وكل حصيلته فى اللغة العربية عدة كلمات لا تكفى لتكوين جملة مفيدة ، وكانت أمه اقبال هانم جارية اخذت ضمن السبايا فى حرب المورة وبيعت فى مصر واستقرت فى قصر الاميرة امينة هانم أم الخديو عباس ، ومن هذا الخليط اليونانى التركى ، جاء حسين شفيق المصرى .. أعظم ابن بلد مصرى ظهر فى النصف الاول من القرن العشرين ..

ولقد كانت حوارى الدرب الاحمر ومقاهيه وأسواقه والازقة المتفرعة منه والشوارع الضيقة التى تصب فيه هى وحى حسين شفيق المصرى والهامه .. فهو صديق سيد المكوجى ، وجليس عم أمين القهوجى ، وجار حنفى الكمسارى ، وحسنين العسكرى ، ومن هؤلاء الناس تزود حسين شفيق المصرى بثقافته الشعبية ، ومن دواوين شعر امرىء القيس، وطرفة، والاعشى، وجرير، والفرزدق ، والمتنبى ، وابن الرومى ، والجبرتى ، وأبى العلاء .. تزود بثقافته العربية ، ومن هاتين المدرستين استحدث حسين شفيق المصرى فنه الخالد الرفيع ..

وبينما كان يجلس فى أول الليل فى بار فقير فى سوق الخضار يوزع الكئوس والنكات على الحاضرين كان يقضى آخر الليل يجمع أوزان الشعر المهجورة بتكليف من أمير الشعراء أحمد شوقى

وعلى هـذا الازدواج : سيظل حسين شفيق المصرى ابدا .. فهو حجة فى اللغة العربية ، وهو عالم فى اللغة العامية ، وهو من أسرة غنية ، وفقير يتضور جوعا ، وهو من أم يونانية ، واب تركى ، وهو نفسه ابن بلد قاهرى .. تربية أرصفة ومقاهى تعبق برائحة الحشيش ، وهو محرر بجريدة « الجوائب » التى كان يصدرها خليل مطران ، ومحرر بجريدة « مصر » وفى الوقت نفسه فى مجلة « الشجاعة » و« الخلاعة » و« المسامير والسيف » وهو مؤلف مسرحى كتب روايات جديدة لمسرح نجيب الريحانى ، وهو شاعر ماجن ، متفرغ لكتابة الشعر « الحلمنتيشى » وهو يكتب ضـد سعد زغلول فى مجلة « الكشكول » ويكتب مع سعد زغلول فى مجلة « الصاعقة » وهو يربح آلاف الجنيهات ، ويموت وليس فى جيبه مليم

ولقد دخل حسين شفيق المصرى التاريخ بمشعلقاته السبع .. على وزن المعلقات السبع .. وكانت أبرزها مشعلقته الشهيرة التى عارض بها معلقة طرفة بن العبد التى مطلعها :

لخولة أطـــــــلال ببرقة ثهمـــــــــد
يلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليـــــــد

والذى لاشك فيه ان حسين شفيق المصرى كتب مشعلقاته ليس بغرض التقليد والمحاكاة وأضحاك الجماهير ، ولكن هذه المشعلقة كانت تحمل رأيه فى هذه القصائد التى أنفق الشعراء عمرهم فى صياغتها ..

استمع اليه يقول فى مشعلقته الشهيرة :

لزينب دكان بحـــــارة منجد
تلوح بهـــا اقفـــاص عيش مقـــدد
وقوفا بها صـــحبى على هزارها
يقولون : لا تقطـع هزارك واقعـد
أنا الرجـــل الساهى الـــذى تعرفونه
حـــويط ، كجن المطفـــة المتلبـــد
فمـــالى اراني وابن عمى مصـــطفى
متى أدن منهـــا ينـــأ عنهـــا ويبعـد
يقول وقد ألقى الرغيف وســـابنى
الست ترى جوزها عويس بن أحمـد
فلمـــا تناغشنـــا الغـــداة وهـــزرت
معـــانا ، وأعطتنـــا باروﻻ بموعـــد
رأت زوجهـــا يدنو ففطت « بزازها »
بشال طويل « كالملاية » أســـود
وقالت : يا لهوى جتكم نيلة امشوا من هنا
أفندية ايه دول ؟ جوزى شايف دا شىء ردى
فأقبـــل زوج البنت يلعـــن أمهـــا
ويســـعى الينـــا « بالمـــداس » المهـــربد
فلا خير فى خبص ترى الضرب بعده
ولا هاجم يأتيـــك بعـــد الترصـــد
ستبدى لك العصيان ما كنت جاهلا
ويأتيك « بالمركوب » من لم تهـــدد

ومن قصائده التى سماها « المشـــهورات » قصيدة نظمها على نهج قصيدة « ابن الخياط » التى يقول فيها :

خـــذا من صـــبا نجد اماما لقلبـــه
فقـــد كان رياها يطـــير بلبـــه

قال حسين شفيق المصرى :

ولم ينهه عنهـــا الزمان ولا النوى
ولم يلهـه عنـا تقـــزقيز لبـــه
فبات يناجى النجم طول ليله
ويشكو الى الحيطان شـدة غلبـه

وهل يشـتكى الناس مدقع فقـره
وقد جاع يشكو من فداحة حبـه
وقد تعبت عزاله فى غرامه
وتعب أصحاب الفلوس بنصبه

ويا ويحه اذ يصبغ الشـــــعر
تلقمطه حتى تنـادى بشيبه
ومن يك ذا شـيب ويصـبغ فانه
اذا قال صـدقا زيفوه لـكذبه

***

ولقد ظل حسين شفيق المصرى يتدحرج طول حياته ويتقلب فى مهن كثيرة ، من كاتب محام الى مصحح فى الجرائد الى زبون دائم أحيانا فى مقاهى القاهرة وعلى أرصفتها الشهيرة ، ومن خلال هذه المهن الغريبة استطاع العبقرى أن يرى الحياة كما لم يرها أحد من قبل .. فقد كانت له مهنة واحدة غير رسمية ، هى مراقبـــة الناس وملاحظة عاداتهم الرديئة ، واســـتطاع أن يقدم للأدب الشعبى المصرى شخصية خالدة « لابن البلد » الجاهل المتماق « الحاج درويش » و « للست المصرية » المشاكسة المشاغبة «أم اسماعيل» ، وكان كتابه « الحاج درويش ، والست أم اسماعيل » هو خير كتبه وأكثرها صوتا وحرارة وفهما بطبيعة الروح المصرية على الاطلاق

وكان حسين شفيق المصرى عالما باللهجات ، لهجة الصعيد ولهجه الفيوم ، ولهجة المنوفية ، ولهجة الاسكندرية ، ولم يقتصر علمه على معرفة اللهجات المحلية المنتشرة فى أقاليم مصر الكثيرة .. بل تعدتها الى خارج الحدود .. وقد هب فجأة ذات مرة لينقد بأسلوبه الساخر المرير انتشار اللغة الفرنسية بين اهل لبنان العرب .. فكتب خطابا من لبنانى الى آخر « مونامى مجاعص .. بعد السلام .. اعرفك يا مون فرير ان الهيجين تبعى تربيان .. وفقط عندى جراند زعل من حكم الفرنساوى .. وبيكون بعلمك أني دومان رايح شان اشوف حال المون بير واكتب لك ليتر بالايروبلان ..

وخاض حسين شفيق المصرى ميدان الزجل وما قل ودل هو خير عنوان يمكن أن نطلقه على أزجاله .. فقد كان مثلا فى هذا الميدان لسبب لا ندريه .. والملاحظة الغريبة انه كان يفر الى ميدان الزجل كلما اشتد الارهاب فى مصر واشتدت قبضة الرقابة على الصحف الوطنية . وبالرغم من انه كان ضد سعد زغلول وكان ضد الوفد المصرى بحكم أكل العيش الا انه كان فى الحقيقة وطنيا وثائراً ..

ذلك انك لا تستطيع ان تكون ساخرا الا وأن تكون ثائرا فى الوقت نفسه .. لأن السخرية لون من الوان الثورة ..

يقول حسين شفيق المصرى فى زجل رائع :

أول ما نبدى القول نصلى على النبى
نبينا محمد جانا بالاسلام
يقول أبو زعيزع وله قول صادق
براهينه ظاهرة والأدلة تمام

يا بوزيد أنا بوى دياب بن غانم
يناوش العدو ومايتركوش ينـــام
لحد مانمشى من البلد دى ونرحل
دى عيشتنا فيها يا بوزيد حرام
تعالى نروح من مصر نقصد تونس
نشوف فيها أقوام غير دى الاقوام
دى مصر يا بويه بلاد العجايب
وخيراتهـــا لـــلارمن ولـــلاروام
وللانجليز رخـــرين ولـــكن خايف
أروح بكلامى شـــخة فى حمـــام

ولقد عاش حسين شفيق المصرى حياة أقرب ما تكون الى حياة أبى نواس .. أعزب لم يتزوج .. ســـكير لا يفيق .. مبذر أنفق نقوده وأنفق صـــحته وأنفق أيامه فيما لا يفيد ولو أنه تفرغ للمسرح .. لكان لدينا الآن تراثا مسرحيا كوميديا من أعظم طراز .. ولو أنه ألقى بنفسه فى خضم الثورة .. لاستطاع ان يصنع مع بيرم التونسى انقلابا فى مصر ولاستطاعا معا أن يصوغا الحياة فى مصر كما يحلم بها الثوار .. ولكنه لم يتفرغ لشىء ولم يهدأ أبدا ولم يستقر .. وظل يتدرج من أعلى الى أسفل حتى وصل الى القاع . ولكن فنه الاصيل رغم الضـــياع كان يشده دائما الى الحياة التى تموج من حوله .. ينقد مظاهرها المختلفة نقد فنان أصيل

***

وفى نهاية أيامه رفع هراوة ضخمة وهوى بها على رأس الحكومة التى كانت قائمة وقتذاك ..

ان الفنان حسين شفيق المصرى ينقدها وينقد رجالها ونظمها وتقاليدها .. فيبتكر شخصية الشاويش شعلان عبد الموجود

ومن خلال المسكين شعلان .. انصبت هراوات شفيق المصرى على كل ما فى الحياة من تناقضات بشسعة وقيم زائفة. ويكتب شفيق المصرى على لسان الشاويش شعلان محضر التحقيق الحكومى « فى تاريخه ادناه واعلاه .. انا الشاويش شعلان عبد الموجود شاويش آه يا نارى .. فى الساعة كذا وانا جاعد فى الجسم حضر جدامى جـدع طويل عريض زى الشحط متهم فى جناية خطف فرخة .. وبعدين سألناه عن اسمه وعن رسمه وعملنا المحضر اللازم » ..

***

ومن خلال الاسئلة والاجوبة تبدو براعة شفيق المصرى فى كشف عورات النظام الاجتماعى الذى كان يرزح تحت عبئه الشعب .. وكذلك تبرز أصالة شفيق كفنان . وعبقريته فى الغوص الى أعماق المأساة التى كانت تعيش فيها مصر ..

ومن خلال «محكمتنا العرفية» يحمل شفيق المصرى حملة لا هوادة فيها على كل ما هو بشع وحقير فى حياة الناس .. انه يهاجم الشركات فى عنف .. ويهاجم النظام الراسمالى كله بلا رحمة .. وبطريقة فنية لا تغفل الحقائق العلمية ـ التى تحول المجتمع الرأسمالى الى معتقل كبير للشعب ..

ويهاجم شفيق المصرى الحرب .. ويهاجم الاستغلال والاستبداد والبطالة والخوف والجهل

ولم يكتف شفيق المصرى بنقل المجتمع وهدمه عن طريق القلم .. بل أنشب فيه لسانه ، وكأنما وجد ميدانه الحقيقى هنا ، فاكتفى به فى آخر أيام حياته ـ واطلق مئات النكات تنهش فى كيان المجتمع وتنز فيه كالسوس ، وأصبح يرتاد المقاهى منذ أن تعطل وشاخ وفقد بصره ، وبدا الرجل العجوز وكأنه فقد كل اسلحته فى الحياة الا

سلاح النكته يشهرها على اعدائه ، فراح يهاجم أدعياء الادب والفن ، ثم راح يهاجم الادباء أنفسهم ، ثم انبرى يهاجم الاحبة والاصدقاء ، واحتمل الناس دعاباته أول الامر ثم ضاقوا بها وضاقوا به ، ويبدو أنه ضاق هو الاخـــر بالناس وبالحياة ، فاعتزل العالم ، وانزوى وحده يجتر مصيره في صمت ، ولم يلبث أن ضاق بنفسه ، فراح يهاجم نفسه بعنف

ولعله وهو فى عزلته التى فرضها على نفسه تذكر تلك الايام البعيدة من حياته ٠٠ عندما كان سعد حيــــا ، والثورة تجرى فى البلاد وتفور ، والشعب يتدفق كالسيل وربما رن فى اذنيه هتاف الجماهير يملأ الجو وصيحات الجموع تتصاعد الى السماء ، وربما تذكر الجـــانب الذى اختاره بحكم الظروف ، ووقف فيه ضد الشعب وضـــد سعد ، وربما ضاق شفيق المصرى بنفسه من أجل هذا السبب ، وربما كفرت المحنة عن ذنب الرجل ، وربما مات مستريحا ..

***

نعم ، ربما حدث ذلك ، وربما كان هذا الذى ذكرناه مجرد وهم جال بخاطرنا ولم يخطر على ذهن شـــفيق المصرى أبدا

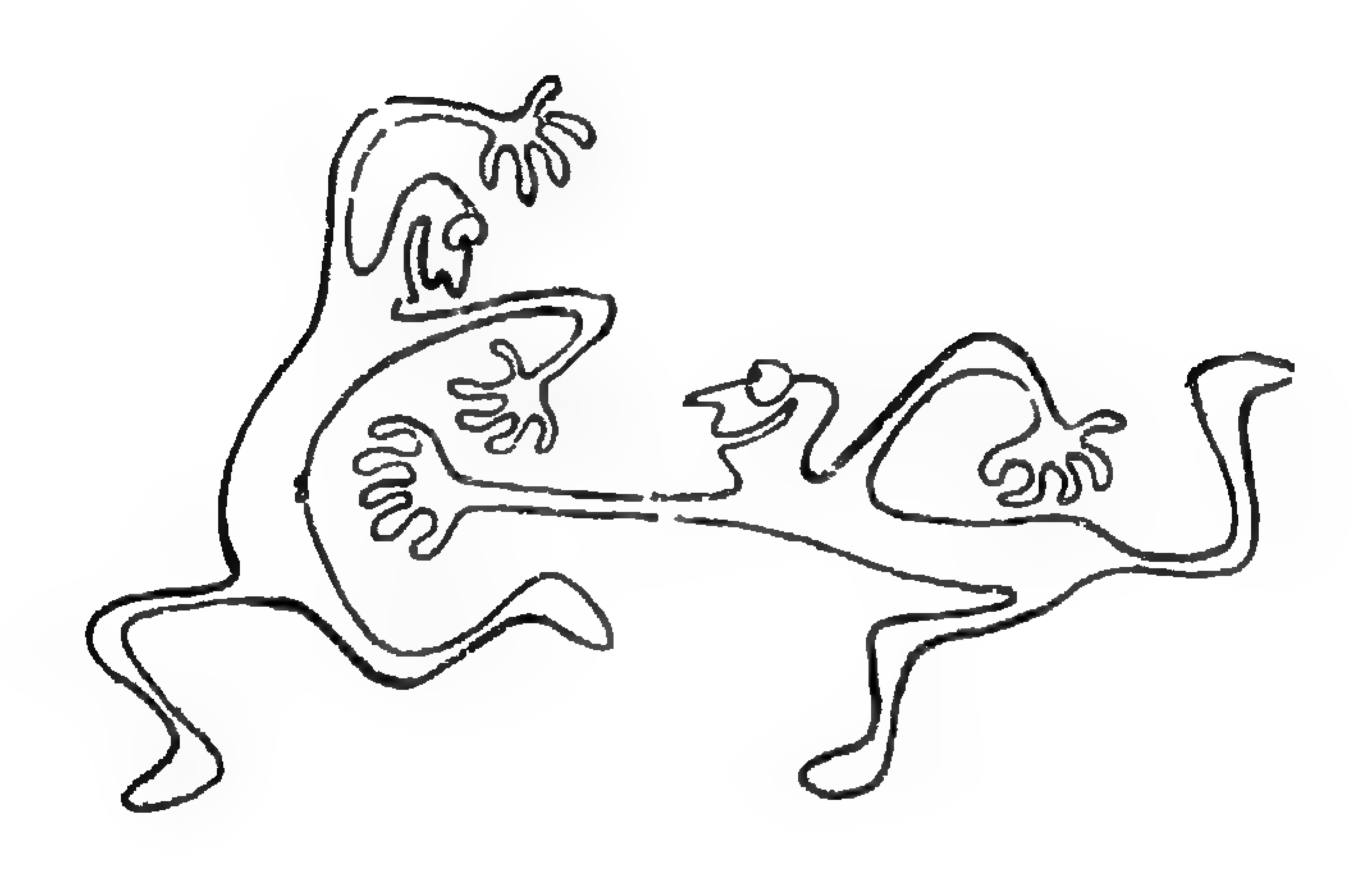
ولكن الشيء المؤكد والشيء الثابت ٠٠ هو أن شـــفيق المصرى مات مبتسما ٠ فقد التقى به أحد أصدقائه قبـل وفاته بيوم واحد ، وكان قد فقد بصره تماما واصبح أعمى، وتطوع شاب من اقربائه لمرافقته ، ولما سأله الصديق عن الشاب الذى يرافقه .. اجاب شفيق :

ـ دا واحد ساحبنا

وفى اليوم التالى ٠٠ سحبه عزرائيل الى الاخرة

انا شخصيا أرجو أن يكون قد سحبه الى الجنة

النكتة للنكتة !



وكان « مسـسيو كل شيء » المصرى اسمه «محمد البابلى» ابن عبده بك البابلى شيخ تجار الجــواهر فى ذلك العصر . وكانما أفادته مهنة أبيــه فى فنـه ، فكانت نكاته وغمزاته وقفشاته اشبه بسبائك رشيقة انيقة لامعة..

محمد البابلى

المركب الكبير يعبر البحر الى بور سعيد ، على ظهر المركب سفراء في طريقهم الى الشرق الاقصى ، وعلماء اثار يبحثون عن حضارات عريقة بين أطلال الشرق ، وأثرياء يطوفون حول الارض ، ورجال أعمال ، ورجال مخابرات ، ورجال فقط . ونساء أنيقات ، ورشيقات ، ومعطرات ، ولكن رجلا واحدا فقط بين هؤلاء جميعا ، كان يثير الغيظ ويثير الاعجاب معا ، وكان هذا الرجل قومسيونجى صغير ، وكان اسمه كل شيء ، أو هكذا أطلق عليه الكاتب العالمى سمرست موم

وكان مسيو كل شيء يعرف كل شيء ، ويحترف كل شيء ، فهو خبير فى لؤلؤ البحر الاحمر ، وهو عالم فى الرياضيات ، وأستاذ فى علم طبقات الارض ، ولاعب كرة قدم ، وممثل سينما ، وخطيب ، وقومسيونجى شاطر ، وهو سائح ممتاز ، يعرف كل شوارع المدن الشهيرة ، ويعرف مطاعمها ، وملاهيها ومفاتنها ، وهو مغامر ، له فى عالم النساء تاريخ !

وهو أيضا أديب ونديم وظريف يعرف كل النكات التى تضحك لها جميع أمم الارض

وهذا المسيو كل شيء الذى رسمه « موم » ببراعة ، كان له فى مصر نظير ، رجل من المحلة الكبرى ، كان ضابطا فى البوليس ، وكابتن فى كرة القدم ، وعازفا على العود ، وطباخا ماهرا ، وثريا يضارب فى البورصة ، ومقامرا

انفق معظم لياليه واكثر ثروته على المائدة الخضراء،ومزارعا يملك ضيعة وقصرا فى الريف . وكان ظريفا لاذع النكتة ، أضحك الناس وأدهشهم وسخر منهم ، ثم تبخرت ثروته فسخر من الزمان ومن نفسه

وكان « مسيو كل شىء » المصرى .. اسمه محمد البابلى ابن عبده بك البابلى شيخ تجار الجواهر فى ذلك العصر . وكأنما أفادته مهنة أبيه فى فنه ، فكانت نكاته وغمزاته وقفشاته أشبه بالسبائك ، رشيقة أنيقة لامعة . ولم تكن سخريته نتيجة سخط ، فهو نرى أمثل . وهو بحبا حياة الامراء ، وهو ينفق الالوف ، ويبعثر المئات على موائد القمار ، وعلى الاصدقاء . وكانت له شلة تجتمع كل مساء فى ركن خاص فى حلوان ، وكان البابلى يعد طعام الشلة بنفسه ، فقد كان كما ذكرت من قبل .. يجيد طهى الطعام . وكان من بين أفراد الشلة .. عبد العزيز البشرى وحافظ عوض ووحيد الايوبى ، ومحمد المويلحى صاحب كتاب عيسى بن هشام . وكانوا جميعا يتمتعون بمكانة فى المجتمع ، ولقد كان من الطبيعى أن تكون سخرية البابلى — من أجل هذه الظروف وبسببها — سخرية هادئة ، فيها فن أكثر مما فيها من مرارة ، ولو كان النقد تناول النكتة على أنها عمل أدبى يؤدى دورا فىالحياة لقلنا ان البابلى كان من أنصار النكتة للنكتة ، بعكس شفيق المصرى مثلا ، الذى كان يعبر بنكاته عن وجهة نظر فى الحياة . ولهذا السبب أيضا خلت كل نكات محمد البابلى (كتاب محمد البابلى لمحمد الصباحى) من كل ما يمس النظام الاجتماعى القائم حينذاك ، أو النظام السياسى فلم تكن النكتة عنده سلاحا ، كانت ترفا ، يرفه عن نفسه ، ويرفه بها عن الاخرين ، وكانت آخر الامر صورة تعكس

حيانه المطمئنة الوادعة !

وهناك نكتة شهيرة لمحمد البابلى تصور اتجاهه هـذا بوضوح ، وهى نكتة قيلت فى مناســبة هى أقرب الى المأساة منها الى الملهاة ، ومع ذلك لم تدرك موهبته الناعمة عمق الموقف ولا مغزاه ، فمست نكتته السطح ولم تنفذ الى الاعماق

كان له تابع يدعى سنقر ، وكانت علاقته بالبــابلى مشبوهة ، فقد كان يدبر له أمر الليالى الحمراء ، ويبحث له فى كل يوم عن صيد ثمين ، وباختصار ، كان يقـوم للبابلى بنفس الدور الذى كان يقوم به بوللى للملك السابق فاروق ..

وجاءه جماعة من الصحاب فى المساء وجلسوا يلعبـون ويشربون ثم قال أحدهم مندهشا :

ـ تعرف يا محمد بك ، احنا اكتشفنا امبارح سر خطير

ويستفسر محمد البابلى من صاحبه عن السر الخطير ، فيجيبه ضاحكا والدهشة لم تفارقه بعد :

ـ امبارح بس عرفنا ان سنقر حافظ القرآن ، كان معانا فى المأتم وبعدين الفقى غلط فكشفه وصحح الآية ..

حكاية كما قلت تصور مأساة ، رجل يحفظ القرآن تدفعه الظروف وتجبره على احتراف مهنة وضيعة ، كيف حدث هذا ، ما هى الظروف التى أدت بالمقــدمات الى غير النتائج التى كانت متوقعة ؟ أى مأساة عنيفة هى التى أدت برجل يحفظ القرآن الى أن يعمل قوادا لمحمد البابلى . أسئلة لم تخطر ببال البابلى على الاطلاق ، ولكن المفارقة تهزه فيقول نكتة ، نكتة رشيقة وأنيقة ولامعة .. ليس

الا ، نكتة رجل ليس من طبقة سنقر ، بل لعله يزدريهـا ويحتقرها ••

استمع الى محمد البابلى يعلق على الموقف بنكتة :

ـ لازم الفقى كان بيقرأ فى سورة النساء

وعلى هذا الطراز تأتى نكت البابلى كلها • نكت خفيفة سريعة تمليها المناسبة ، عمادها مقدرة فائقة عند البابلى على التلاعب بالالفاظ ، ولكنها لا تهتم بالمضـــــمون ولا تعنى به ••

كان يلعب الطاولة مرة مع صديق ، فيلعب لعبـــة لم تعجب خصمه ، فيسخر منه قائلا :

ـ بقى دى لعبة يا سى بابلى ، أمال ابه الفرق بينك وبين الحمار ؟

ويرد البابلى على الفور :

ـ مافيش فرق بينى وبين الحمار غير الترابيزة ••

***

ويجلس فى بار بالعتبة ، وعلى مقربة منه يجلس رجل رث الثياب زرى الهيئة ، يعب الخمر بشراهة ، فيصيح فيه البابلى :

ـ يا راجل ارحم نفسك ••

ويقول الرجل وهو نشوان :

ـ أرحم نفسى ايه يا بيه ، ما تشوف لونها •• ياقوتى

ويرد البابلى على الفور :

ـ أيوه يا خويا ، النهاردة ياقوتى ، وبكره يا •• قوتى (من القوت)

مهارة لفظية ليس أكثر ولا أقل ، وبراعة فى استخدام التورية بلا تكلف ولا عناء ••

ويعهد اليه والده وهو شاب بقطعة أرض ليستغلها بنفسه ، ولكنه يسى استغلالها ، فيطلب اليه الوالد أن يترك الارض ، وفى مناقشة عاصفة يثور الوالد على محمد البابلى :

ـ انت مش نافع ، انت مش بتاع شغل ، انت بتاع سهرات بس وبتاع لف ودوران • الارض دى بتاعتى ولازم تسيبها أو أطردك منها ••

ويسكت محمد البابلى ويعبث بشاربه فى حركة عصبية • ويثور الوالد ويصرخ فى وجهه مؤنبا :

ـ مش عيب واقف تلعب فى شنبك قدامى ••

ويجيب محمد البابلى فى ضيق :

ـ وهو بتاعك راخر

ويضحك الوالد حتى يقع على قفاه ، ويتركه يعبث فى الشارب ، ويعبث فى الارض

***

ويضايقه رجل أحيل على المعاش ، يضايقه بزيارته ، ومرافقته والبابلى يضيق بصداقة الرجل المفروضة عليه فرضا •• ولكن حياءه يمنعه من مصارحة الرجل ، ثم ينتهز فرصة حين يلتقى بصاحب مطبعة ويكلفه أن يطبع له بطاقة باسمه ، ويسأله صاحب المطبعة :

ـ نكتب الاسم ، محمد عبده البابلى ، أو محمد البابلى بس ؟

ويجيبه البابلى وصاحبه الثقيل يقف بجواره :

ـ لا اكتب محمد المعاش

ويسأله الرجل فى دهشة

ـ محمد المعاش ! ؟

ويجيب البابلى فى هدوء :

ـ أيوه ، ماهو الراجل دا (ويشير الى صاحبه) حالود على ·· ويفهم الرجل الثقيل أخيرا ، فيذهب الى غير رجعة !

***

وكان لمحمد البابلى ولد يعمل موظفا فى بلدية المحلة ، وكان البابلى يمنحه خمسة عشر جنيها كل شـــهر فوق مرتبه ولكنه لم يكن يكتفى بما يأخذه . بل كان دائم الالحاح على والده فى طلب النقود

وضاق البابلى بطلبات ابنه ، فصرخ فى وجهه ذات يوم غاضبا :

ـ انت بتودى الفلوس فين ؟

ـ فلوس ايه ، هيه دى فلوس ··

ـ كده ، طيب اسمع أما أقولك ، تبادلنى ، يعنى انت تاخد مركزى وأنا اخد مركزك ، وتخلصنى م الهم اللى أنا فيه

وأجابه الابن فى سرور :

ـ مســـــتعد

ـ مستعد تخلصنى م الهم اللى أنا فيه ؟

ـ مستعد

ـ يعنى أتنازلك عن الارض ، وعن الفلوس ؟

ـ مســـــتعد

ـ بس على شرط ، أتنازلك كمان عن أمك

***

ويفاجئه صديق وهو يدخن فى رمضان ، فيصافحـــه ويجلس الى جواره ، ثم يحاول أن يجاذبه اطراف الحديث

ولكن البابلى يلتزم الصمت ، ثم تتحرك شفتاه تترنمـــان بكلمات مبهمة ، فيسأله الصديق :

ـ الله • انت بتعمل ايه ؟

ـ ويجيبه البابلى :

ـ بقرأ قرآن !

ـ قرآن وانت فاطر ؟

ـ مانا بقرا آية « فاطر السموات والارض »

***

ويعيش محمد البابلى حياة بهيجة ، سهرات قمار ، وحفلات ، ومآدب ، وأصدقاء ، ومضاربات فى البورصة، وتريقة على عباد الله ، ثم يعتزل الوظيفة ويتفرغ لممارسة الحياة • ويلتقى به صديق ، فيسأله فى اشفاق :

ـ انت سبت البوليس ؟ ••

ويضحك البابلى وهو يقول :

ـ لا البوليس أفرج عنى ••

وتنتهى به حياة المقامرة والمضاربة واللهو الى الافــلاس• فيعيش بقية حياته فى قلق ، ولكن النكتة لم تفـــــارقه أبدا ••

يسأله صديق :

ـ انت عدلست (نسبة الى عدلى باشا) ولا وفدست (نسبة الى الوفد)

فيجيب البابلى :

ـ أنا فلسنت

وكان هذا فى حقيقة الامر ، هو موقف محمد البـــابلى من الحياة ، عدم الارتباط بشىء الا بحياته الخـــاصة ، وبمزاجه الخاص ، فلما طحنته الحياة ، ذاب فى مأساته

الخاصة ..

يسأله صديق آخر عن أحواله فيخبره بما آل اليه حاله ، فيسأله فى اشفاق :

ـ طيب والطين (الارض)

فيجيبه فى حزن حقيقى :

ـ شــلته

***

ويستمع الى سى عبده الحامولى يغنى « أهل السماح والملاح فين أراضيهم » فيتنهد البابلى فى حسرة ويقول :

ـ فى البنك العقارى ..

وكان البابلى قد رهن أراضيه فى البنك العقارى

ويقضى البابلى آخر أيام حياته فقيرا لا يملك شــيئا . البنك استولى على الارض ، والقمار استولى على ما كان معه من نقود ، والخمر تبتلع النزر اليسير الذى كان قد تبقى ويهجره أغلب أصدقائه ، ويتحاشاه حتى أقرب المقربين اليه ، ويفقد كل شىء .. حتى تابعه الذليل سنقر مات ! ويمر عليه متسول يسأله شيئا لله ، فيجيبه فى ثورة :

ـ الله ما خد كل حاجة ، حتى سنقر

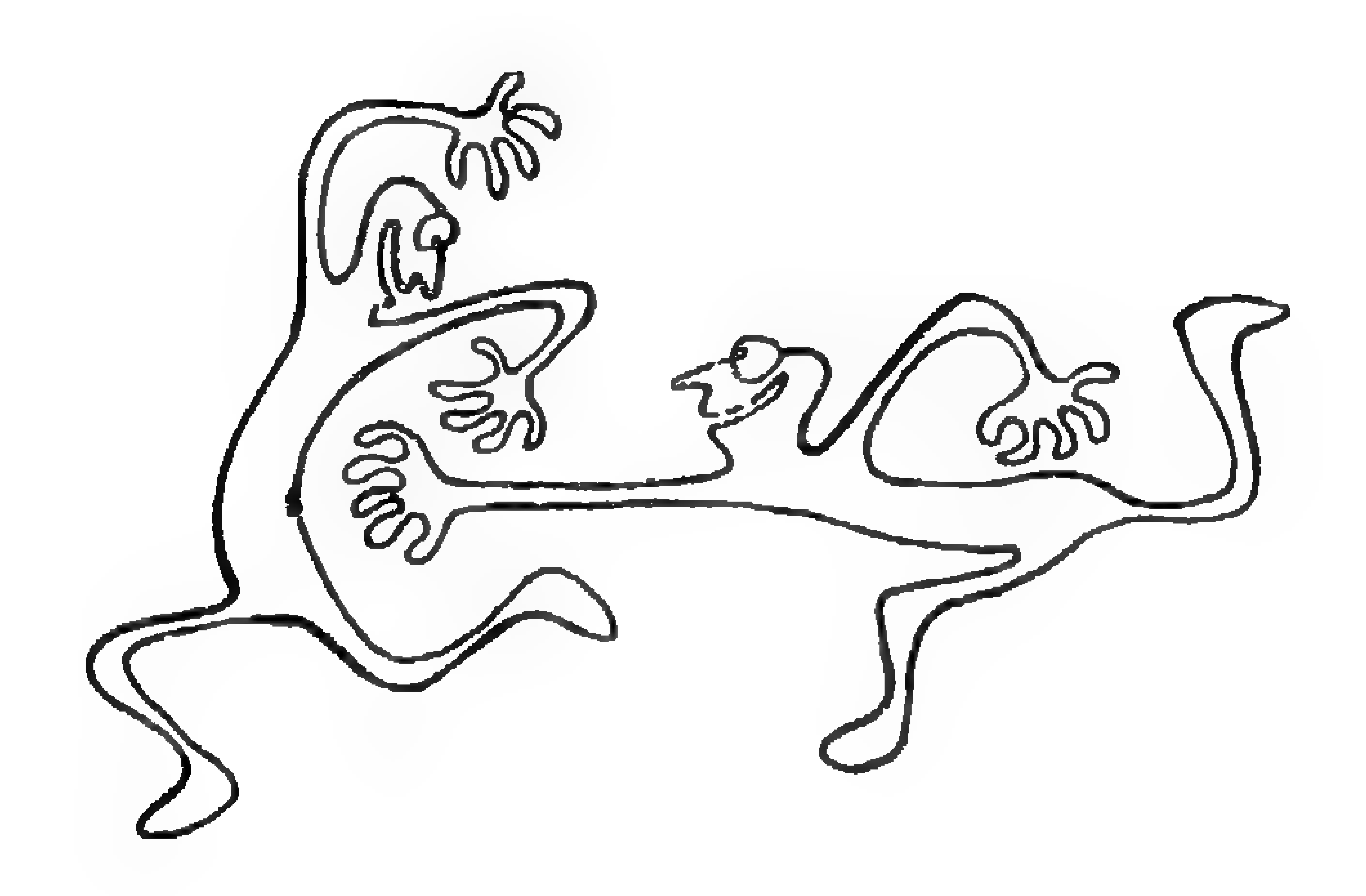
ثم يموت محمد البابلى ، وتموت معه كل نكاته ، لان نكاته لم تكن من النوع الذى يعيش . اذ لم يكن البــابلى يستهدف من ورائها شيئا الا المتعة والاضحاك . ورغم اضطراب الاحوال السياسية والاجتماعية فى زمانه ، ورغم وفرة المضحكات المبكيات حينئذ ، فان محمد البــابلى لم يستخدم موهبته أبدا فى « جلد » النظام القائم وأربابه ، ربما لانه كان أحد المستفيدين من قيـــام النظام بكل

متناقضاته وأخطائه ، وحتى بعد أن حطمته المأساة وأفلس ظل صديقا للنظام ، ولم يستخدم موهبته أبدا فى عدائه

لم يرتبط محمد البابلى بشىء ، وكانت شلته الحياة ٠ لذلك لم يعن بالشعب لانه لم يحس بوجوده ٠ وكان الشعب عنده ، وفى أعظم صوره ، خدم الملاهى ، والفلاحين فى الضيعة ، وحراس قصره ، وسنقر الذى صـــحح الاية للمقرىء ، لانه كان يقرأ من سورة النساء !

على أية حال ، لقد ذهب البابلى بعد أن أضحك أبناء طبقة كان البابلى ينتمى اليها ٠٠ طبقة أبناء الذوات ٠ ولهـذا السبب لم يحفظ الشعب نكاته ، ولم يرددها من بعده ٠٠ فماتت ٠ أخذها الله أيضا كما أخذ أرضه وأمواله وأصدقاءه وكما أخذ تابعه الذليل ٠٠ سنقر !

لعنة الظروف



وعاش محجوب ثابت حياته يصارع هؤلاء ولكن أحدا لم
يصارعه ، بل اتفقوا جميعاعلى حبه ، واتفقوا علىشيء
آخركان يغيظ الرجلويحنقه، ان يضعوه فى المكان اللائق
.. أن يظل رجلاهازلا يضحكون منه ، ويضحكون عليه..

محجوب ثابت

كان ثريا ، وكان نائبا ، وكان سياسيا ، وكان كاتبا ، وكان زعيما للعمال ، وكان زميلا وأستاذا للعظماء والزعماء والوزراء ، وكان صديقا لأنبغ وأشهر وأعظم أبناء عصره ، وكان ظريفا ، ابن نكتة ، تجلس اليه فلا تمله ، وتسمعه فلا تزهد حديثه ، عاش حياة طويلة عريضة ، وخرج منها بكل شيء الا الوزارة.. والزواج ..

كان يرغب فى الزواج ، وهم به مرتين وعدل ، عدل فى المرة الاولى عن اشفاق ، وفى الثانية عن فشل

كان يدرس فى سويسرا ، وكانت له زميلة مليحة روسية شابة من النبلاء ، بيضاء كالحليب ، فى عينيها زرقة المحيط ، وفى شعرها صفار الذهب .. واحبها واحبته .. وطلبت اليه أن يتزوجها فأمهلها أياما يدبر فيها أمره .. وذهب الرجل الحائر يستشير صديقه مراد سيد أحمد ـ وهو الذى سيصبح فيما بعد وزيرا للمعارف فى مصر ـ فينهاه عن هذا الزواج ، خشية أن تفسره العامة فى مصر تفسيرا سيئا ، اذ كيف للوطنى المجاهد أن يتزوج أجنبية .. !

وفعلا هجر الروسية النبيلة وفر الى باريس ..

وكما كان صديقه السبب فى عدم زواجه فى المرة الاولى ، كذلك كان السبب فى المرة الثانية صديق آخر ، فبعد ربع قرن طويل فكر فى الزواج ، ثم فوجىء وهو

يقطع خطوته الاولى نحو تحقيقه بصديق يتزوج من التى كان قد اختارها زوجة له ، فأصابته المفاجأة بعقدة من الزواج ، فأقسم الا يتزوج حتى يموت . وفعلا كان ..!

أما الوزارة فقد كان يتلهف عليها ويترقبها ، وكان يرى أنه احق الناس بها . وكان يؤمل أن يستوزره الوفد . ولكن الوفد لم يفعل ، فخاصمه وهاجمه طول حياته . وحقد على زعمائه وأعضائه .. وانتظر أن يحقق محمد محمود امنيته الكبرى ، وفعلا . استدعاه محمد محمود عام ١٩٢٨ عندما أصبح رئيسا لوزارة القبضة الحديدية . وتوقع الرجل أن يسند اليه محمد محمود الوزارة ، فحمل معه كل مشاريعه وكل برامجه ، وذهب اليه ، ولكنه فوجىء بمحمد محمود يعرض عليه مرافقته فى رحلته الى الاقاليم .. وكتم الرجل غيظه وسافر معه . مؤملا أن يحقق بغيته بعد الرحلة ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، فهاجم محمد محمود بشدة وبعنف ، وخاصمه حتى مات .. !

واعتزل الاحزاب وهاجمها ، ورأى فيها شرا وبلاء وخطرا ، وهاجم كل الزعماء وحمل عليهم ، ولكن موقفه مع صدقى كان يختلف عن ذلك لأن صدقى الذكى أراد أن يمسك هذا اللسان عن مهاجمته ، فانتهز فرصة توليه الحكم عام ١٩٣٠ ، فأنعم عليه بمنصب كبير أطباء الجامعة .. وفرح الرجل بالمنصب فرحا كبيرا ، وتحركت مواهبه تمدح صدقى وتشيد به ، حتى لقبه ب « كليمونصو » مصر ، و « بسمارك » افريقيا ، وحتى مدح دستوره — دستور عام ١٩٣٠ — ووصفه بأنه خير الف مرة من دستور ١٩٢٣ .. !

ولم يكن مما يشرف انسانا فى ذلك العصر أن يمدح

صدقي ويشيد بمزاياه ٠٠ فما بالك اذا كان هذا الانسان وطنيا بحق ، أبلى بلاء حسنا فى الثورة ، وادعى زعامة العمال الذين سلط عليهم صدقى هراوته ، ثم رصاصه ، ثم دفنهم وهم أحياء ؟!

ولكن ٠٠ هكذا كان الدكتور محجوب ثابت ، أحد أبناء الجيل المضطرب الحائر الذى سبق ثورة ١٩١٩ وأعقبها ، بل كان محجوب ثابت هو ممثل هذا الجيل بجدارة ، وصورة حية لروح العصر !

كان محجوب ثابت اذن مضطربا مشوشا كالعصر الذى عاش فيه ، احترف الطب وجمع ثروة من ورائه ، ولكنه يهجر عيادته ليجمع تبرعات للوفد ، ثم ينتظر الجزاء فلا يجد الا الاهمال والاعراض ، فيثور على الوفد ، ويمدح حزب الاحرار ، ولكن حزب الاحرار يعامله كرجل هازل ، يحبه نعم ، ولكن بقدر ، قدر لا يرتفع بالرجل الى منصب الوزارة ، فيخاصم الحزب ويحمل عليه، ثم ينصب نفسه زعيما للعمال ، فاذا جاء صدقى الى الحكم عام ١٩٣٠ انضم اليه يمدحه ويدعو له ، بينما صدقى وجنوده يسفكون دم العمال على قارعة الطريق ..

وعاش محجوب ثابت حياته يصارع هؤلاء وهؤلاء ، ولكن أحدا لم يصارعه ، بل اتفقوا جميعا على حبه ، واتفقوا على شىء آخر كان يغيظ الرجل ويحنقه ، أن يضعوه فى المكان اللائق ، وكان مكانه اللائق .. أن يظل رجلا هازلا يضحكون منه ، ويضحكون عليه ..

حدث مرة أن رشح الدكتور محجوب ثابت نفسه ضد مرشح الوفد فى احدى دوائر الاسكندرية ، وحاربه الوفد حربا لا هوادة فيها ، واستطاع أن ينتصر فى النهاية ،

ويدخل مجلس النواب نائبا .. رغم أنف سعد ..

وتصور أنت نائبا يدخل مجلس النواب رغم أنف سعد ، وهو الذى لو رشح « حجرا لانتخبناه » ، وتصور أى خطر وأى قدر يكون لهذا الذى تحدى « الأمة وارادة الامة » .. ولكن محجوب ثابت كان شيئا آخر .. حتى فى نظر سعد .. ولذلك نرى سعد لا يغضب منه ولايحقد عليه ، بل يتواطأ مع مجلس النواب ليسخر منه ، فيوعز الى أعضاء لجنة الطعون بأن يتباطأوا فى تقديم تقرير الطعن المقدم ضد محجوب ثابت لتظل نيابة الدكتور معلقة

ويتردد محجوب ثابت على مكتب سعد زغلول ألف مرة ، يطالبه بالفصل فى الطعن المقدم ضده ، ويعد سعد ، ثم يخلف ، ثم قرر أخيرا أن ينظر المجلس فى الطعن

وكلف سعد النقراشي بتدبير مسرحية لمداعبة الدكتور محجوب ثابت ، فيتكلم حمد الباسل مدافعا عن صحة نيابة الدكتور ، ويخطب على أيوب معارضا فى انتخابه

وينعقد المجلس ، ويهب على أيوب معارضا صحة نيابة الدكتور محجوب ثابت ، ويعلن ان لجنة الطعون وقعت فى خطأ حسابى — غير مقصود — مما أدى بها الى رفض الطعن ، ويطلب فى حزم اعادة النظر فى الطعن ، ورفض نيابة الدكتور محجوب ثابت

ويثور الدكتور محجوب ، وسعد على المنصة يبتسم ويضحك ، ويطلب من على أيوب أن يعيد الكلام بتؤدة حتى يتمكن النواب من سماعه ودراسته

ويعيد على أيوب الكلام ، والدكتور يستمع اليه وهو جالس مكانه كالمأخوذ ، والنقراشي يجلس خلفه متظاهرا بالاسف ..

ويطلب سعد من محجوب ثابت أن يرد على كلام على أيوب ، فيطلب التأجيل ، ولكن سعد يرفض التأجيل ، ويثور الدكتور على سعد ، ثم يتوسل ، ولكن سعد يتجاهل ثورته ويرفض توسله ، ويطلب الى الدكتور ماهر أن يتكلم

وينهض أحمد ماهر ويبدأ الكلام ، فاذا به يحمل على زميله على أيوب ويفند كلامه ، ثم أعلن رفض الطعن وصحة عضوية محجوب ثابت ، ويهجم النواب على محجوب ويحملوه على الاعناق الى بوفيه المجلس ، ويهتف أحدهم ويردد الآخرون الهتاف « نريد الشربات يا محجوب » ومحجوب يرفع يديه ــ كما يفعل الزعماء ــ ويحييهم ، وسعد يشهد المنظر عن كثب وهو يضحك من الاعماق ..

وهذه الحادثة تكفى لتفسير موقف الاحزاب والزعماء وكبار الشخصيات من محجوب ثابت .. انه رجل ظريف .. لا أكثر ولا اقل ..!

ان الكاتب الساخر عبد العزيز البشرى يكتب عنه فيقول : « لا شك أن الدكتور ثابت ، يعد بحق من ميراثنا القومى ، ولو جرى عليه القدر لكان لا بد للامة من محجوب ثابت بأية طريقة ، انه فى ميراثنا القومى لا يقل عن آثار سقارة وجامع السلطان حسن ومقابر الخلفاء ، ولقد أصبح على الزمان جزءا من تقاليدنا الاهلية كحلقة المحمل ووفاء النيل وشم النسيم » ..

ثم يتعرض لنشاطه السياسى فيقول : « والدكتور فى المصريين كانجلترا فى الامم ، كل منهما يرى عليه للآخرين تبعات لا تنقضى ، فاذا كان الكلام فى النيل تولى الدكتور الكلام وملكه على جمهرة المهندسين ، واذا كانت الثورة تصدر الدكتور لجنة الوفد المركزية ، وكلما انتشرت فى

البلد مظاهرة كان قائدها ، وكلما ساروا بجنازة كان على رأس المشيعين ، فاذا كان اجتماع فى الازهر كان الدكتور فارسه المعلم ، واذا كانت مشاكل للعمال أبى الدكتور الا أن ينفرد بها من دون الناس جميعا ، فانتفض نقيبا لعمال العنابر ولفافى السجاير وسواقى الاوتوموبيلات وشيالى المحطات وخدم الفنادق والقهـــوات وجميع الطوائف من

كل بدال وبقال وجزار .. وفى الحق فان الدكتور يرى نفسه مسئولا عن كل ما فى البلد من هابط وصـــاعد ، وقائم وقاعد ، وغاد ورائح ، وسائح وبارح ، ودارج على متن الغبراء ، وطائر فى جو السماء ، فاذا كانت هناك منطقة خارجة عن اختصاص الدكتور فهى عيادته فقط !

« وانى أقترح على الحكومة أن تصدر قرارا بنزع ملكيته واضافته الى المنافع العامة ، ولعلها بعد العمر الطويل تجعله من نصيب دار الآثار » !

انتهى كلام البشرى ، وهو فى اعتقادى صورة عبقرية صورها قلم البشرى لمحجوب ثابت .. واغلب ظنى أن محجوب ثابت ثار على هذا الكلام ، فقد كان يكره المداعبة حين تجرح ، وكانت أكثر الدعابات الجارحة تأتيه من شوقى .. كان شوقى يعرف نقطة ضعفه ، فكان يحمل اليه دائما انباء لا تسره « كم أنت ضائع الحق يا محجوب ، ان صاحبك النقراشى اعترض على تعيينك وزيرا للصحة ، ولم يهدأ له بال الا بعد أن حذف اسمك من قائمة الوزارة» .. ويصدق الدكتور محجوب الدعابة ، وينطلق يسب النقراشى ، ثم يدرك بعد أيام أن شوقى خدعه ، وانه كان ضحية مؤامرة مدبرة .. ولكن ادراكه أن شوقى يخدعه كان لا يمنعه من أن يصدق نفس الرواية اذا عاد شوقى وقصها عليه ، وقد ظل شوقى أكثر من خمسة

أعوام طويلة يحمل الى الدكتور محجوب ثابت نبأ اختياره وزيرا للصحة ، ثم اعتراض بعض الوزراء على هـــذا التعيين .. وظل محجوب خلال هذه السنوات الطويلة يصدق شوقى فى كل مرة ، ثم يكتشف عقب كل مرة انها كانت خدعة ، وانه كان ضحية مؤامرة مدبرة .. وكان محجوب يغضب أياما ثم تصفو نفسه ، فيعود الى شوقى، ولكن شوقى هجاه بقصيدة جعلت محجوب يقرر الدخول مع شوقى فى معركة طاحنة ، وأعلن انه سيعرى شوقى أمام النـــاس ، وانه سيكشف عن سرقاته الشعرية ، وسيميط اللثام عن جهله ــ جهل شوقى ــ وسيجعل منه عبرة لمن يرى ، وفعلا ، يكتب الدكتور محجوب مقالا ناريا فى هجاء شوقى ويبعث به الى الاهرام ، ولكنه يعــود فيتصل بالاهرام فى المساء طالبا الى المسئولين فيها عدم نشر المقال ، فقد خشى أن يؤدى نشره الى قطيعة أبدية بينه وبين شوقى ، وكانت القصيدة التى أهاجت محجوب وأغضبته :

براغيث محجوب لم أنســـها
ولم أنس ما شربت من دمى
تشـــق خراطيمهـــا جـوربى
وتنفـــــذ فى اللحم والاعظم
وتنظرها حـول بيب الرئيس
وفى شـــاربيه وحـــول الفم
بواكير تطلع قبـــل الشـتاء
فتحمـــل ألوية الموســـم
قد انتشرت جـوقة جـوقة
كما رشت الارض بالسمسم
ترحب بالضيف عنـد الطريق
فبـــاب العيـــادة فالسلم

ولقد كتب محجوب ثابت رأيه فى أكثر معاصريه : قال عن مصطفى النحاس انه كان يمثل الوطنية طالبا والنزاهة والشجاعة قاضيا ، والاخلاص محاميا ، أما النحاس الزعيم فلأترك الحكم عليه للتاريخ ..

ووصف مكرم عبيد بأنه خطيب العواطف ، واذ يلقى خطبته أو يدبج مقاله ، او يدلى بحديثه ، فكأنه يوقعه على قيثارة ، صديق ودود وعدو لدود ، فهو ملاك فى صداقته ، شيطان فى عداوته ، جبار فى خصومته ..

وقال فى اسماعيل صدقى .. ان المنصفين من ابناء هذه الامة يعترفون بوطنية اسماعيل صدقى وبعد نظره ، وان التاريخ سينصفه ، وسيقدره الابناء والاحفاد ، بل بدأ الناس يفهمونه ، الم يحمله طلاب الجامعة على الاعناق تكريما .. !

وكان للدكتور راى فى فاروق ووالده فؤاد لا اظنه كان راى محجوب ثابت الحقيقى ، وأغلب ظنى انه راى تجارى أراد الدكتور أن يصل به الى كرسى الوزارة ،وهو المنصب الذى عاش محجوب ثابت ومات وهو يحلم به ، وكان يرى انه أحق الناس فى مصر بوزارة الصحة ..

لقد ذهب الى محمد محمود بعد تأليف الوزارة ، وانفجر فى وجهه ساخطا لاعنا محتجا .. لقد جعلتم من البندارى وزيرا للصحة وهو محام لا أطعن فى مكانته بين المحامين ، ولكن ليست لديه معلومات صحية ، ولا دراسات طبية ، كما انه لم يشتغل بالمسائل العامة ، ولم يجاهد كما جاهدت ، ولم يضطهد كما اضطهدت ، ولم ينكب فى سبيل الوطن كما نكبت ، ولم ينف كما نفيت ولم يفتش له مكتب كما فتشت ، ولم يتلف له كتاب ، وبالجملة لم يقاد كما قاديت ، ثم قال منشدا قول غيره

فى محمد محمود :

رجوت لك الوزارة طول عمرى
فلمـــا كان منهــا ما رجوت
تقـــدمنى أناس لم يكـــونوا
يرمون الكـــلام اذا دنوت
فأحببت المـــات وكل عيش
يحب الموت فيــه فهو موت

***

ويبدو أن الدكتور يئس من تولى الوزارة فقنـــع بالحديث عنهـــا وكيف انهم فاتحوه فى الامر فرفض ، واشترط شروطا غاية فى الحزم وغاية فى القسوة ، وقد أنشد حافظ ابراهيم فيه قصيدة جاء فيها :

يبيت يحلم أحـــلاما مذهبــة
تغنى تفاسيرها عن علم ابن‌سيرين
طوراً وزيرا مشـــاعا فى وزارته
يصرف الامر فى كل الدواوين
وتارة زوج بمطبول مدملجـــة
حســناء تملك آلاف الفـــدادين
يعفى من المهــــر اكراما للحيته
وما أظلتـــه من دنيا ومن دين

***

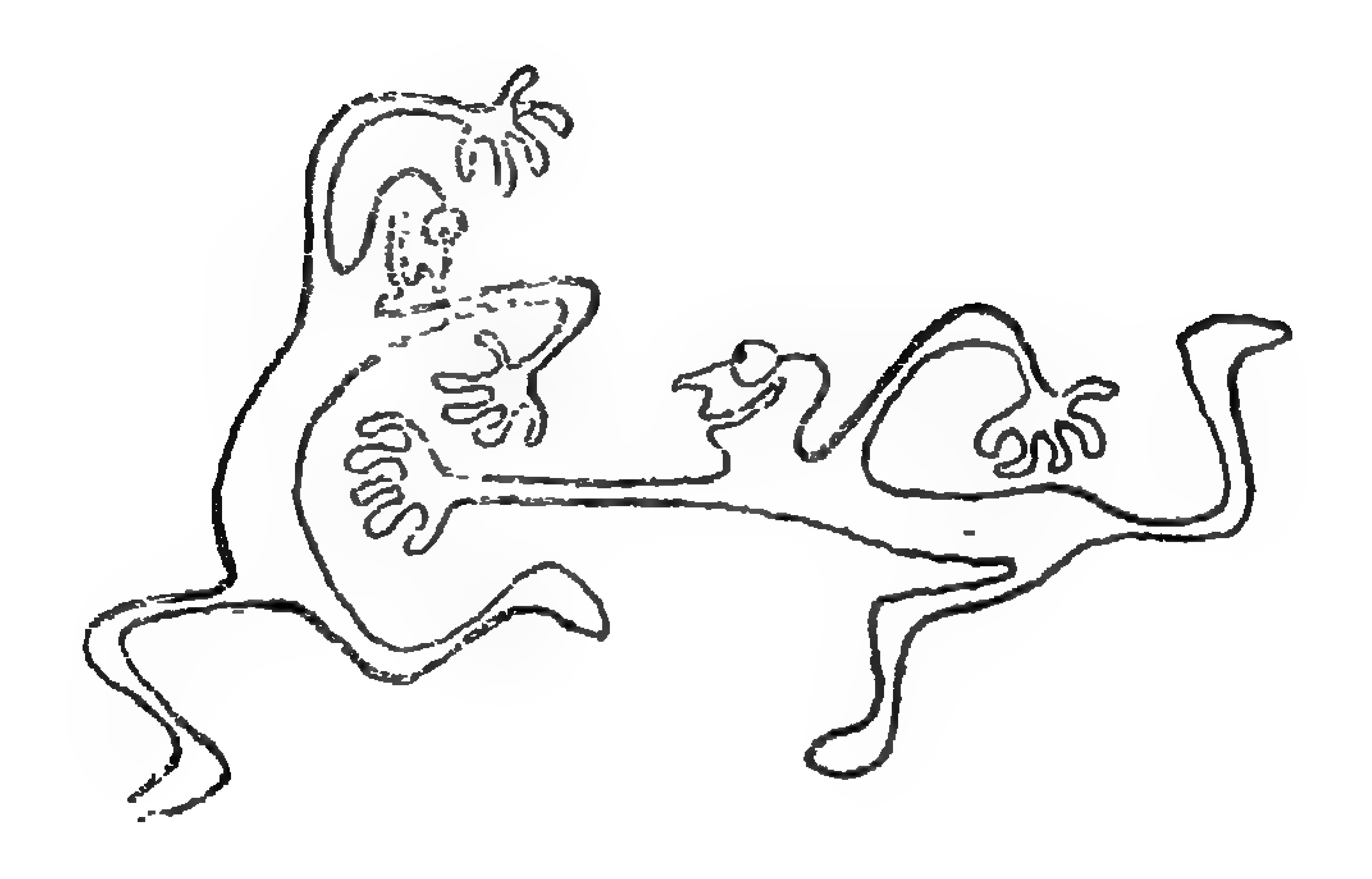
وبعد حياة طويلة عريضة حافلة ، قدر لمحجوب ثابت أن يهدأ وأن يستريح ، ولقد ظل حاضر البديهة متوقد الذكاء حتى فى لحظاته الاخيرة ، وظل يذكر مشروعاته واحدا بعد الاخر ، ثم عض على شفتيه وقال فى أسف عميق : لو كنت توليت الوزارة لنفذتها !

ثم أغمض عينيه .. ومات .. وكانت آخر كلماته المشروعات والوزارة ..

والحق أقول أن محجوب أحق من كثيرين بالوزارة ؛ وانه كان شجاعا جنت عليه شجاعته ؛ كما أودى به ظرفه .. ويبدو أنهم كانوا يغفرون كل شيء الا أن يكون ظريفا ، ولهذا السبب وجدنا في كرسي الوزارة .. اللصوص والخونة والعملاء ، الذين أكلوا على كل الموائد وتسلقوا طريقهم على الاكتاف كالقردة ..

أما محجوب ثابت فقد حرموه من الوزارة ، فقد كان مجرما .. كان ظريفا ..!

أتعس الظرفاء



وفعلا انهمك مجدى فى الرقص ! ! واستنجد الرجل بالبوليس ، فقد تأكد ان الوقف الذى اقترحه كمال الشناوى .. لابد وانه كان نزيلا لمستشفى المجاذيب

مجدى فهمى

الحرب عام ١٩١٤ ..

وفى مصر جنود من كل الاجناس ، ومن شتى بقـــاع الارض : انجليز ، وهنود ، واستراليون ، ومن شرق وغرب افريقيـا ، والجنـود الاجانب يأكلون خـيرات البـلاد ، والمصريون يأكلون من طين الارض ، والفلاحون يهجرون الريف ، والاثرياء يفرغون رصاص المسدســـات فى رؤوسهم ، والتجار يفلسون بالعشرات ، والخـراب يعم وينتشر ويصبح فى نهاية الحـرب « زعيم الاغلبية » فى البلاد ..

ويفلس مع من افلس تاجر عجوز اسمه احمد فهمى ، كانت له تجارة رابحة فى الريف . ويقيم أحمد فهمى فى المنصورة وقد هدت كيانه المأساة فلا يجد ما يصنعه الا النكتة ، والتريقة على عباد الله

ومع الافلاس يرزق أحمد فهمى بولد ، فيطلق عليه من باب التريقة ايضا .. اسم مجدى ، أى مجد الوالد ، وكان مجد أحمد فهمى .. الافلاس

ويترعرع الطفل مجدى وسط هذه الظروف العجيبة ، والد يحترف الهزل بعد ان حطمته المأساة ، واوضـــاع غريبة تسيطر على البلاد ، ملك يملك ولا يحكم ، ووزراء لا يملكون ولا يحكمون ، وجيش أجنبى يحكم ويملك كل شىء .. حتى الملك والوزراء

ويجوب الطفل حوارى المنصورة مع ابيه ، يدخل غرز الحشيش ، والمقاهى الحقيرة ، ويصافح وجوها شاحبة ، وأفواها نخر فيها السوس ، ولكنها مفتوحة رغم كل شيء تقهقه ساخرة على كل شيء

ثم يهجر مجدى المنصورة الى القاهرة .. الى المدرسة ، ولكنه بعد أن ينتهى من دراسته الثانوية يصاب بكارثة توقفه ، وتمنعه من التقدم خطوة واحدة الى الامام . فقد مات ابوه فجأة ، واصيب بعاهة جعلته لا يرى أبعد من مواطيء قدميه

ويخرج مجدى الى الشارع

ولم يكن فى الحياة التى شهدتها مصر تلك الايام متسع لرجل مثل مجدى لم يتم تعليمه ، مترهل الجسم كانه فيل ، ضعيف البصر لا يكاد يرى ، حاد النكتة كأن لسانه كرباج سودانى أصيل .. فيقنع من الحياة بالفرجة عليها ، والسخرية منها .. ومن كل الناس . ويظل مجدى عاطلا بلا عمل ، وتنشب الحرب العالمية عام ١٩٣٩ ومجدى بلا عمل ، ولا أمل فى عمل ، والحرب جعلت لكل شيء سعرا حتى التراب ، الا مجدى ، فقد ظل كما كان .. لا سعر له على الاطلاق . ولا شيء يشغله فى الحياة الا التردد على مكاتب ومنازل الاصدقاء ، يضحكهم ، ويدخن من سجائرهم ، ويأكل على موائدهم ، ثم يتكرم احدهم آخر الليل بتوصيله الى بيته

وكان من الممكن ان تمضى الحياة هكذا الى اخر العمر . ولكن احد اصدقائه ـ كامل الشناوى ـ يعثر له على عمل ، فى أحد المكاتب ليقوم بترجمة نشرات عن جهود الحلفاء فى الحرب ، عمل يجيده مجدى ، وبمرتب لم يكن مجدى يحلم به ، تسعون جنيها ليس كل عام ، وليس كل

دهر ، ولكن كل شهر ، ويخطف مجدى العنوان من يد كامل الشناوى ويهرول نحو المكتب ويدخل على « صاحب السعادة » المدير ، فيجده رجلا ضئيلا لا يكاد يبين من خلف المكتب ، دميما كأنه قرد ، ولكنه بالرغم من ذلك يبدو بشوشا رقيقا مجاملا الى حد بعيد • ويجلس مجدى أمامه فى أدب شديد يستمع اليه وهو يشرح له تفاصيل العمل ، وكان الرجل يعانى من شلل قديم أورثه حركة عصبية غريبة تجعله دائما يرعش حاجبه الأيمن ويخرج لسانه ، ويهز كتفه الايمن خصوصا اذا انهمك فى الحديث وعندما انتهى الرجل من شرح طبيعة العمل وذكر المرتب (٩٠ جنيها) راح يخرج لسانه لمجدى ويهز له كتفه ، ويرعش له حاجبه فى حركة متواصلة ، ودقق مجدى النظر اليه ، فتأكد أن الرجل يسخر منه ، ليس أدل على ذلك من هذه الحركة الغريبة ، ومن المرتب الذى ذكره ، اذ أن مجدى كان لا يحلم بأكثر من تسعة جنيهات

وعندما يصل مجدى الى هذا الاستنتاج الخاطىء ، يقفز من فوق مقعده ، ليقف وسط الحجرة ويصرخ فى وجه الرجل :

ــ بقى انت بتلعبلى حواجبك ، طيب أنا هارقصلك

وفعلا .. انهمك مجدى فى الرقص ، واستنجد الرجل بالبوليس فقد تأكد له ان الموظف الذى اقترحه كامل الشناوى •• لا بد وأنه كان نزيلا لمستشفى المجاذيب

الغريب فى الامر أن المدير ظل معتقدا حتى اخر أيام حياته ، أن الموظف مجدى هو احد « مقالب » كامل الشناوى • ما علينا ، فقد خسر مجدى الوظيفة ، وعاد الى الشارع ••

وتمضى سنوات طويلة ومجدى عاطل ، ثم يتوسط له

حفنى محمود عند حامد جودة ليلحقه بوظيفة فى مجلس النواب ، ويوافق حامد جودة ، ويصـــبح مجدى اخيرا موظفا على اعتماد . وبمرتب خمسة وعشرين جنيها .
ولا يكاد ينقضى اســـبوع على تعيين مجـدى حتى يهب الشعب فى كل مكان ثائرا ضد حـــكومة الاقلية ، والمدن تموج بالمتظاهرين يهتفون بسقوط الخونة . ويصيحون مطالبين بالجلاء والاستقلال ، وتستمر المظاهرات اسبوعا كاملا ، وتهاجم الجماهير الغاضبة دار مجلس الوزراء ، والوزارات ، وتتجه احداها الى مجلس النواب . ويقف حامد جودة يرقب المظاهرة الصاخبة من نافذة مكتبه : عشرات الالوف يزمجـرون ويهتفون « يسقط الخونة ، يسقط حامد جودة » وشخص اكثر حماسا من المتظاهرين يقود المظاهرة ، ويركب فوقها ، ويهتف فى صوت كالرعد « يسقط حامد جودة » ويدقق حامد جـودة النظر الى الشاب الذى يركب فوق الاعناق ، فيجد انه نفس الشاب الذى توسط له حفنى محمود .. البائس مجدى

***

وتقوم الدنيا وتقعـد ، ويفصـل مجـدى من مجلس النواب . ولكن حامدة جودة يستدعيه ، ويصر على أن يعرف منه الاسباب التى دفعت به الى ارتكاب هـــذه الجريمة !!

ويجيبه مجدى فى سذاجة وفى سخرية :

ـ ولا حاجة ، انا خرجت من بيتنا عشـــان اوصل للمجلس لقيت المظاهرات شغاله والمواصـلات مقطوعة : فقلت أحسن طريقة أركب مظاهرة لحـــد المجلس ..
ويضحك حامد جودة حتى يســـتلقى على قفاه ، ويخرج مجدى من مكتب رئيس المجلس .. الى المهنة التى كان

يجيدها .. الى الشارع

ويسأم مجدى البطالة فيبحث بنفسه لنفسه عن عمل ، وكان يهوى الصحافة فاتصل بصاحب احدى المجـلات الاسبوعية الذائعة وتوسل أليه أن يفسح له مكانا فى جريدته ، ووافق الرجل ، وذهب مجدى اليه . وخـلال جلسة استمرت تسع ساعات كاملة وامتدت حتى الفجر ، ظل الرجل صاحب الجريدة يلقى على مجدى دروسا فى الصحافة ، وفى فن الكتابة ، ومجدى يستمع اليه ويبتسم ويهز رأسه موافقا اياه على كل حرف

***

يقول مجدى : كان الرجل جاهلا .. أجهل من معلم الزامى ، حقيرا احقر من عبد ، فاستغل ضعفى وحاجتى اليه ليفرز معى عقده النفسية . وخرجت من مكتبه وقد اتفقنـا على أن اكتب له مقالة فى الادب ، مقـابل عشرة جنيهات ..

وغاب مجدى اياما ثم عاد ومعه المقال ، مقال فى الادب كما اتفق مع الصحفى الكبير ، وقرأ الرجل المقال فأعجبه ، وأمر بنشره على الفور ، وظهر المقال فى الجريدة .. وكانت فضيحة !! يقول مجدى لقد خسر الجاهل سـمعته ، وخسرت ، انا الجنيهات العشرة

وكان المقال يبدأ هكذا :

يقول همفرى بوجارت فى كتابه « الشمس طالعة » ان كل ما يجرى على ارض الناس لا يمكن ان يدوم الا بعـد فوات الاوان ، ولكن « شارل بوابيه » يرد عليه زعمه هذا فى مؤلفه الضخم « من هنا حتى نعود » فيقـول ، ان الانسان الفرد ليس ذا قيمة حقيقية الا بالحلوى . وان الحلوى تفقد طعمها بمجرد ان ينسى الانسان نفسه ، اذ

ان الانسان كالقرد ، يحلو له ان يتسلق الحياة ، حتى اذا تمكن من الوصول انداحت من حوله المآسى ، كما تنداح مياه بحيرة التمساح !!

واختفى مجدى بعد ذلك شهرا كاملا ، وقيل ان صاحب الجريدة « المثقف » أقسم أن يقتله بالرصاص

***

ويسأم مجدى البطالة مرة اخرى فيبحث عن شىء جديد ، وسرعان ما يجد هذا الشىء فى باب احدى المجلات الاسبوعية . اذ ارسل مجدى الى المجلة خطابا رقيقا هذا نصه :

فتاة خمرية ، شعرها طويل ، جميلة جدا ، من اسرة محافظة ، دخل شهرى محترم ، ترغب فى مراسلة شاب ، منصب محترم ، لا يزيد على الاربعين طويل ، رياضى ، يهوى التحف والاسفار . وينهال على العنوان الذى ذكره مجدى مئات الخطابات من قضاة فى المحاكم ، ومحامين ذوى شهرة ، واطباء مرموقين ، وطلبة مراهقين ، وصياع وذئاب ، واولاد ناس ، واولاد كلب . ويستمتع مجدى بقراءة خطابات الغرام العنيف الذى هبط فجأة على حضرات الروميوهات ، ثم يعتنى بالرد عليها جميعا . وانقضت خمس شهور قبل ان يكتشف بعضهم اللعبة ، فقد ذهب بعض الروميوهات الذين لم يستطيعوا الصبر الى العنوان الذى ذكرته الخمرية ذات الشعر الطويل ، فاذا به نادى نقابة الصحفيين

***

وذات مساء كان مجدى يجلس مع مأمون الشناوى فى منزل مأمون ، اذ لم يكن لمجدى منزل . وكان معهما مدرس وقور كان يتردد على بيت مأمون ليعطى ابناء مأمون

دروسا فى اللغة العربية ، وكان المدرس ـ كما قلت ـ وقورا لا يحب المزاح • خجولا منطويا على نفسه ، وكان رغم فقره يتمتع بمظهر محترم ، وكان مجدى يخشاه ويتجنبه فقد كان دائم الحديث عن الجنة والنار ومعصية الله ••

وفجأة ، دخل عليهم المخرج المشهور أحمد بدرخان ، وما ان عرف المدرس الوقور انالزائر الجديد هو بدرخان، حتى انقلب الى النقيض ، وراح يصرخ ويزوم ، ويقفز كالثور ويتحدث بسرعة وبلهجة مضحكة : ـ

ـ أستاذ بدرخان ، يا سلام ، المخرج ، يا الف مرحب بتاع السيما ، يا حلاوة ، يا أهلا وسهلا ، يا الف مرحب، يا ألف نهار ابيض . أهلا أهلا ، وعندك فيلم دلوقت ، دا شيء جميل خالص ، طيب والنبى خدنى ، أى والله خدنى ، وحياة من جمعنا من غير ميعاد تاخدنى ..

ـ بس اخدك ايه ..

وهتف مجدى على الفور :

ـ خدو على قفاه •• !

وخرج المدرس من بيت مأمون ، ولم يعد على الاطلاق

***

وعندما احترقت القاهرة ، وفرض فاروق الظلام على البلاد ، واجبر الناس على الفرار الى البيوت قبل المغرب كالارانب . شهر مجدى لسانه على العهد كله ، واشترك فى المعركة الى جانب الشعب كمقاتل يطلق « الكلام » على معاقل الطغاة ، فكانت كلماته افتك من الرصاص ، واشد مفعولا من القنابل

يروى مجدى نكتة عن اغرب ما حدث له تلك الايام ..
كنت ماشى فى السكة ، وفات ميعـاد حظر التجول ،

بصيت لقيت عسكرى ورايا عمال يصرخ .. قف من انت،
قف من انت ، رحت واقف مكانى ، جه العسكرى قدامى
ومعاه بندقية وسنكى وسألنى :

ـ معاك تسريح « تصريح »

ـ ايوه معايا

ـ ورينى

يقول مجدى ، وضربت لخمـــة معى ، فلم يكن معى
تصريحا ، لقد خشيت ان ابلغه بالحقيقة فيفرز السونكى
فى بطنى ، فآثرت الكذب حتى تكون هناك فرصة للتفاهم .
وبحثت فى كل جيوبى عن شىء يصلح « تصريحا » فلم
اعثر على شىء ، فلم يكن معى بطاقة ، ولا شىء يشبه البطاقة
وكل ما عثرت عليـــه ، ورقة يانصيب .. (الدبة)
ورقة عليها أرقام ، وعليها صورة الدبة . وســلمت
العسكرى ورقة اليانصيب الدبة ، فأخـــذها منى وابتعد
عنى قليلا ليلقى عليها نظرة فى ضوء عامود النور . وغاب
العسكرى طويلا ، ظل يحـدق فى الورقة اكثر من عشر
دقائق ، وانا اتوقع شرا خلال كل لحظة ، فقد خشيت أن
يفهم العسكرى اننى تعمدت الســـــخرية به فيطعننى
بالسونكى ، أو يطلق على النار . وبعــد أن انقضت عشر
دقائق كاملة ، تقـدم العســكرى منى وصـوب بندقيته
نحوى ، وقال لى فى لهجة الواعى الخبير وهو يشير على
ورقة اليانصيب والى صورة الدبة بالذات

ـ لكن دى مش صورتك !

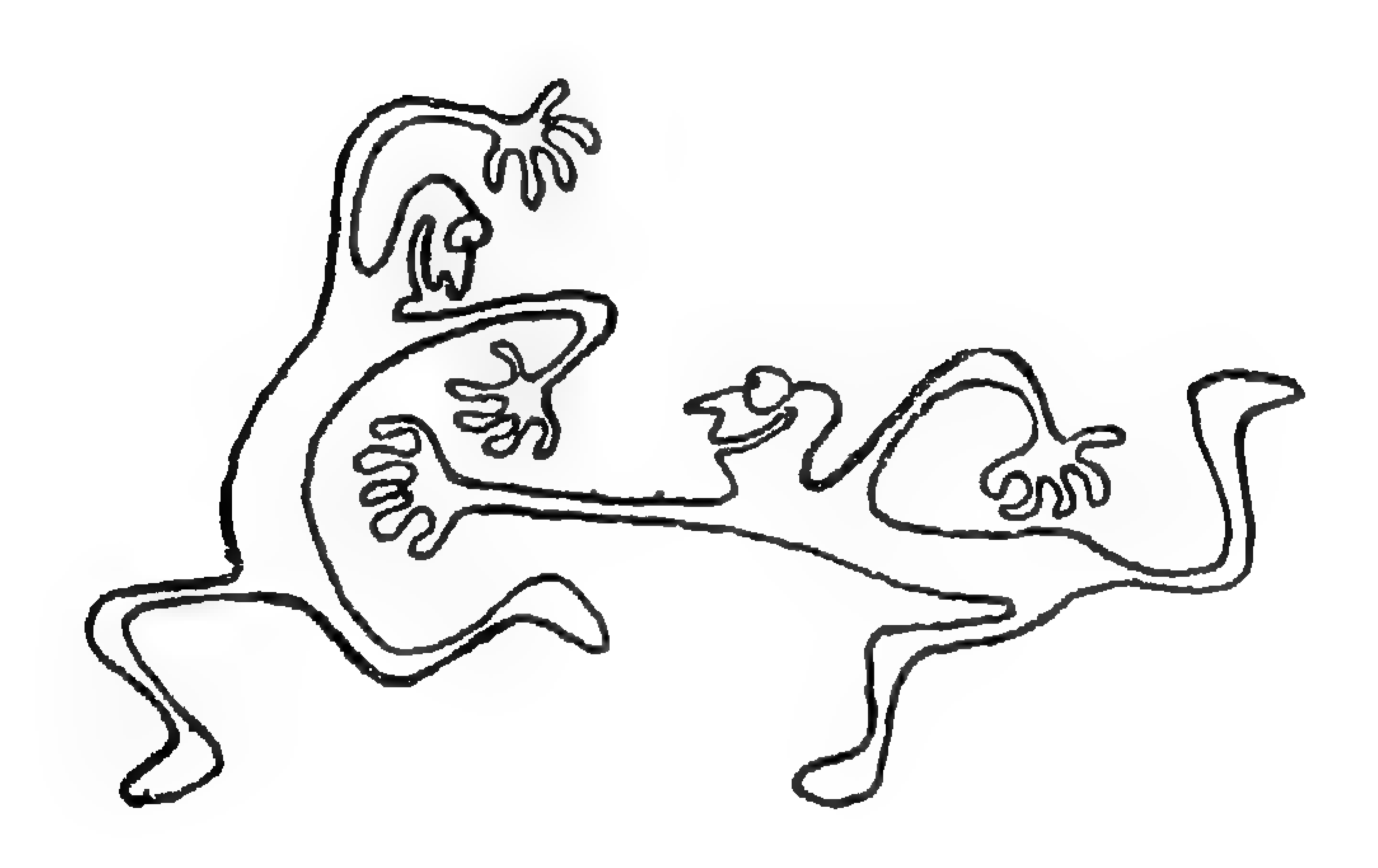
واستطاع مجدى ان يقنعه بأن الصورة له ولا احــــد
سواه ، واستطاع أيضا أن يقنعه بمصاحبته الى المنزل ،
حتى لا يتعرض له احد غيره

وعاش مجدى حياته بعد ذلك يضحك ، ولكنه ضحك كالبكاء ، ويسخر سخرية مريرة من الاوضاع المقلـــوبة ، والنظم الحقيرة ،ويلعن الحياة والاحياء ، ويسب الدين والدنيـــا ، غير ان قلبه الكبير لم ينطو الا على حب كبير للناس .. كل الناس ، حتى الذين اعترضـوا طريقه ، والذين تعقبوه وطاردوه . ثم قدر لمجدى ان يشـــهد البعث ، فعاش حتى نشبت الثورة ، ولكنه لم يشهد الا بدايتها .. ثم فجأة .. مات مجدى . وكانت حيـــاته القصيرة الخاطفة اشبه بضـــحكة عريضة صـافية من ضحكاته ، سرعان ما تدوى وسرعان ما تختفى وتتلاشى

***

ومات مجدي ولم يبلغ السادسة والثلاثين ، وهـــكذا ذهب آخر ظرفاء العصر ، وأطيبهم قلبا وأتعسهم حظا ، فقد كان أتعس حظا .. حتى من عبد الحميد الديب

الثائر الساخر ..



« فنان الشعب لم يستجـديوما بفنه ، ولم يطلب أجرا ثمنا لموقفه ، وعاش ومات يقول فنــــا .. لا يخطب ولا يصرخ ، لان الفن اقوى من كل شىء .. »

بيرم التونسى

كان نموذجا للفنان الملتزم ، واشـــتراكيا حقا كأن الاشتراكية ميكروب يسرى فى دمه ، وفى سـبيل هذا الموقف الرائع دفع حياته ، ولم يدفعها مرة واحدة ، ولكن دفعها بالتقسيط وقضى عشرين عاما يتسول فى باريس ، ويتصعلك على رصيف ميناء داكار ، ويتجول كالذئب حتى بلده تونس ، ويرتعش من شدة البرد تحت جبل أيسون فى الشام ..

فنان الشعب لم يستجد يوما بفنه ، ولم يطالب أجرا ثمنا لموقفه ، وعاش ومات يقول فنا ، لا يخطب ولا يصرخ ، لان الفن أقوى من كل شىء ، عاش رغم أنف الصـياع الذين شتموه ، والحساد الذين حقدوا عليه ، وأولاد الذوات الذين احترفوا الفن لانه موضة الموسم ، وهـو يقول فى كل شىء وأى شىء ، لانه عاش الحياة كلهـا عاشها بالطول وبالعرض ، وبالعمق كذلك وعاش محتجا ، لا يهادن ولا يماين ، محترق الاعصـاب كأنه شـمعة تحترق ، زاهدا كأنه غاندى ، لا يجد حتى معزة يسحبها وراءه ..

واكتشف ـ والتاريخ لا يزال فجرا ـ سر المشكلة ..

المشـكلة ليست وطنية ولكنها اجتماعية من الدرجة الاولى ، وعساكر الانجليز ليسوا كل المشكلة ، ولكنهم جزء منها ، توزيع الارزاق هو المشكلة الحقيقية ،والتهليب هو المرض الذى يجب أن يحارب

ورفع سيفه ضد المهلبتية والخطافة وقطاع الارزاق ، موقف عظيم من فنان عظيم ، يرتفع به الهامه الى مرتبة النبوة ..

ففى الوقت الذى كانت فيه غاية الكفاح ، صراخ حاد من الحناجر « مصر والسودان لنا وانجلترا ان أمكننا » و « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » كان هـو يرى المشكلة بالعكس ، فليس الاستقلال أن ترحل عساكر الانجليز من مصر ، بل الذى يجب أن يرحـل هـو استماطى وبنـايوتى وكل الخـواجات المتمصرين وكل المصريين المستخوجين

« والقطن برضه لمزراحى ولقرداحى
وابن البلد يقعد ماحى فى بلاده يقيم
أقطانه هو اللى زرعها واللى جمعها
ويوم ما باعها ما جابت له حق البرسيم
بنايوتى يقبض ويحصل ودا بيوصل
ويجرى دايما ما يحصل ولا حتى بهيم

***

هنا المشكلة .. أجير يطفح الكوته طول النهـار ولا يكسب شيئا ، وخواجا مجعبز على القهوة طول النهار ، يلعب الطاولة ويقبض ثمن كل شىء

الفنان العظيم وضع يده على المشكلة ثم راح يغـوص فيها حتى القاع .. ناس تعمل ولا تجد ما تأكله ، وناس تأكل وليس لديها ما تعمله . ويكتشف الفنان عالما غريبا اسمه السمسرة .. أى شحط معه ثروة يدخل بهـا السوق .. ليحصل فى النهاية على ضعف ثروته

ولا بيحرث ولا بيبدر
ولا بيحصد ولا بيجمع
ولا بيسبك ولا بيطرق
ولا بيخرط ولا بيقطع
ولا بيشحن ولا بيخزن
ولا بيوزن ولا بيدفع
وهو الغانم الاسلاب

وغيره يضرب المدفع
واذا السوق ارتفع سالك
واذا السوق اتضرب سالك
وغير مسئول عن التالف
وغير مسئول عن الهالك
وبالتليفون يجيب مليون
وميت مليون ولا يشبع
وله يوم الصعود فرصة
وله يوم النزول فرصة
وهدم بيوت وخلق تموت
بحسرة وهو متمتع

هذا فنان مثقف ، وسر فنيته أنه يحس المشاكل بمزاج مصرى . حتى فى الغربة وهو بعيد ، صايع وضايع وغلبان ، يظل يبحث عن شيء ينقصه

لا سطل خروب يسعفنى
ولا ابن نكتة يكيفنى
ما يقصف العمر ويفنى
غير الخلايق بعيلها

وهو لا يسكت أبدا ولا يهمد ، حتى وهو فى تونس .. فى المنفى .. يتحرك ضميره فيتحرك لسانه

والمغربى المسلم راخر
أبو زر فاشوك
لما انتقدنه فزع قالى
يلعن بابوك
وأنا اللى قصدى أشوف قيده

يصبح مفكوك
لقيته فرحان بيه راضى
طيب مبروك

وهو اذا دخل معركة لا يداور ولا يناور ، بل يقتحمها بالطريق المباشر لأنه صاحب ضمير حى

وجابوك الانجليز يا فؤاد قعدوك

تمثل على العرش دور الملوك
وخلوك تبهدل فى أمة أبوك
ومين يلقوا مثلك مغفل ودون

وهو لا يكتفى بهذا الكلام المباشر ، انه ينهش الطاغية فى عرضه ، انه فنان يفهم مزاج الشعب ، وشعبنا قد يغفر كل شىء الا التفريط فى العرض ‥ انه يسخر من الطريقة التيولد بها الامير فاروق ‥والشعب فيها يتهامس فى السر بأن الامير قد ولد بعد أربعة أشهر من زفاف أمه نازلى من السلطان أحمد فؤاد ‥ ويتلقف بيرم التونسى هذا الهمس ، ليجعل منه قنابل يفجرها فى وجه السلطان :

مرمر زمانى يا زمانى مرمر
البنت ماشية من زمان تتمخطر
والغفلة زارع فى الديوان قرع أخضر
يا راكب الفيتون وقلبك حامى

اسبق على القبة وسوق قدامى
تلقى العروسة زى محمل شامى
وأبوها يشبه فى الشوارب عنتر
وغطى زهر الفل فوقها وفوقك

وجبنها شبشب يكون على ذوقك
ونزل النونو القديم من طوقك

يطلع كويس لا الولد يكبر
ويوم ما ينزل فى الجاكتة الكاكى

وستة خيل والقمشجى الملاكى
تسمع قولتها ......

العافية هابلة والولد متشطر
الوزة من قبل الفرح مدبوحة

والعطفة من قبل النظام مفتوحة
ولما جت تتجوز المفضوحة

قلت اسكتوا خلوا البنات تستر

***

ويحشد القصر كل جواسيسه وبوليسه ضد بيرم التونسى ، ولكن بيرم التونسى لم يكن مصرى الجنسية حتى تلك اللحظة ، ولعله سوء الحظ ـ سوء حظ الملك ـ أن يكون بيرم التونسى متمتعا بالحماية الفرنسية ولو أنه كان مصريا لحظة كتابة هذا الزجل الرهيب لتدلى بيرم التونسى من حبل المشنقة ٠ ولكنهم فى البداية اكتفوا بضربه ، واستأجروا بلطجيا جزائريا يعيش فى مصر اسمه يوسف شهدى ليتعقب بيرم التونسى ويقتله ٠٠ وأدى الرجل مهمته على الوجه الاكمل ، ظل يتعقب بيرم

ويضربه كلما يلقاه ، ولكن يبدو أن الضرب لم يكن كافيا لقطع لسانه ، فنفوه ٠٠ ووقف على رصيف الميناء يوم عيد الاضحى ، والدموع تغمر عينيه ، ينظر الى مصر نظرة أخيرة :

يوم الدبايح كان آخر مواعيدك
وقفت لك فرحان أنصب رايات عيدك

وافرش لك الريحان واسمع زغاريدك
زعق غراب البين فصلت آكفانى

ياريته كان فى منام يصبح ويتفسر
أو حكم بالاعدام على القاسى بيستر
ما كان تشوف العين حالى اللى بكانى

ويسمع وهو فى المنفى ، أن كل شىء فى مصر ينهار ويتحلل ، رائحة العفن فى كل مكان ، والتفسخ فى كل شىء ، وعبد المنعم أبو بثينة أصبح أميرا للزجالين

خراب ما يحتاج لمعاينة
وفن باير وأهى باينة
أميرى جوز أم بثينة
وأنا الرعية وعيالها

يا مصرى هجرك يكفانى
يا عاملة قمع ونسيانى
ويوم ما هارجع لك تانى
هتبقى راجعة برسمالها

الثائر ٠٠ الساخط ٠٠ يجد وقتا للضحك ، كلماته تقطر سما ، وتقطر حلاوة ، ليس فى العالم أكثر ضراوة من رجل ضائع يضحك . كتب زجلا يرثى به سجانا اسمه غانم :

وانثال سى غانم مرابعة بعد ندب كفاه
وندب كان يستحقه فى حياته قفاه
ويصف حفلة رقص فى باريس :

يا صاح وحقك ليس على
من راح المرقص من حرج
جمعوا الفتيان مع النسوا
ن فيا للأمر المتبهج
ما كاد مغنى القوم يد
ق الدف بلحن منه شجى
حتى انفرطت وحداتهم
ثم ازدوجت بالمزدوج
رجل وقرينته التصقا
بصدور العز وبالمهج
فعلى كتفيه معاصمها
ويداه بخصر ذى عوج
فاذا انجذبت فلمنجذب
واذا اختلجت فلمختلج
واذا نقلت قدما رفعت
قدما والرفع بلا عرج

وهو فنان صحيح ، ولكنه مصرى بسيط فيـه كل خصائص المصرى البسيط ، حتى مزاجه مصرى ، بلدى ، وهو يحب النسوان ، وهذه الكلمة بالذات « النسوان » عنوان قصيدة فى ديوانه ، انا شخصيا أعتبرها أرق ما كتب فى الادب العربى عامة عن النسوان

فى كل عام للورد أوان الا النسوان
وبقدرتك نابتين ألوان أبيض واحمر
وانت اللى تعلم وانا أجهل ايه أجمل

من الخدود اللى لا تدبل ولا تتغير
ودى العيون اللى اشهد لك بها واسجدلك
دى خلت الطاغى انقادلك والمتكبر
والشفتين اللى فالقهم كنت خالقهم

للابتسام والا رازقهم دا انت تحير
العبد يعشق بالقوة عشق لجوه
وكمان جهنم ؟ ايه هو ؟ ما احناش معشر
بذمتى انت اللى جاذبنى يا معذبنى

ويللى ذوقك يعجبنى لما تصور
لك صنعة فى العين والحاجب بها تتعاجب
ونقول وجود الله واجب مين بيه يكفر
وليك قوالب فى الاجسام غلب الرسام

يقلدك بحجر ورخام يلقاك أشطر
يا ست آم زناق محبوك وقميص مفكوك
حطى على القلب المشبوك ايدك يعمر
ويام نص ملايا حرير والنص يطير

على اكتاف أنا عقلى صغير غطى المرمر
ويللى ساقك يسوى رقاب حارت الباب
فى لون حقيقته ان كان بشراب والا مقشر
يا مسلمين الله يا حريم أنا مالى غريم
غيركم أروح وياه فى جحيم يوم المحشر

***

وهو يسخر من المؤمنين اصحاب الحاجات :
يارب سلطان جمالك يتعبد للذات
خالص لوجهك لا للنيران ولا الجنات
لكن عبيدك وخلقك يعبدوك لغايات

وصبحوا وانا عبد منهم كلهم ترسات

وكل شيء فى الحياة يستحق السخرية ، وهو صاحب عين نفاذة لا تفوته شاردة ، وهو لانه صايع ، ولانه ثائر ، تقع عينه على منظر عادي بالنسبة للرجل العادى ولكن هو الفنان ، يستخرج من المنظر العادى صورة خالدة

اربع عساكر جبابرة يفتحوا برلين
ساحبين بتاعة فجل جاية من شربين

انا قلت ايه الحكاية قال خالفت الجوانين
طب اشمعنى ميت الف واحد فى البلد سارحين
يشرطوا فى الجيوب ويكسروا الدكاكين

***

وعلى نفس الطريق ، يقهقه فى صباه قهقهة دامية :

يا بائع الفجل بالمليم واحــــدة
كم للعيــال وكم للمجلس البلدى
اذا الرغيف أتى فالنصف آكلــه
والنصف أجعله للمجلس البلدى
كان أمى أبل الله تربتها
أوصت فقالت أخوك المجلس البلدى

ويصوع ويجوع ، ثم يعود آخر الامر مثخنا بالجراح .. مضرجا بالدم .. ولكنها على أية حال ، عودة الى البلد الذى أحبه بشغف والى الشعب الذى عبده بجنون، وعلى رصيف ميناء بورسعيد ، يهتف بكلمات كأنها قطرات دم تسيل من قلبه

غلبت أقطع تذاكر وشبعت يا رب غربة
بين الشطوط والبواخر ومن بلادنا لاوربا
وقلت ع الشام أسافر اياك الاقيلى تربة

فيها اجور معاوية واصبح حماية أمية
فى بورسعيد السفينة رسيت تفرغ وتملا
والبياعين حوطونا بكارت بوستال وعملة

لكن بوليس المدينة ما تزوغش من جنينة غلة
يا بور سعيد والله حسرة ولسه يا اسكندرية

هتف بى هاتف وقاللى انزل ومن غير عزومه
انزل دى ساعة نجلى فيها الشياطين فى بومة
انزل دا ربك تملى فوقك وفوق الحكومه
نطيت فى ستر المهيمن للشط يا حكمدارية

واقولكم بالصراحة اللى فى زماننا قليلة
عشرين سنة فى السياحة وأشوف مناظر جميلة
ما شفت يا قلبى راحة فى دى السنين الطويله
الا أما شفت الملاية واللبدة والجلابية

أخيرا عاد .. وسيعيش الان فى مجتمع الارزقية . يأكل عيشه بحذر ، بعد عشرين سنة طويلة من الصياعة والضياعة . اكتشف ان كل شيء لا يزال مكانه .. الخونة فى الصدارة ، وأصحاب القضايا العظيمة فى الذيل لا يشعر بهم أحد ـ ولكن هل يسكت بيرم التونسى ؟ هل يهمد ؟ هل يسترزق ؟ انه على أية حال سيحاول أن يعيش وسيقاوم ما استطاع ، ويطلبون منه فى النهاية أن يؤلف شعرا للاسرة المالكة ، آخر ما كان يتوقعه بيرم ولكنها فرصة على أية حال ، وسيطلق العنان للسانه ، وسيمدح ولكنه سيجرح فى الوقت نفسه

ومزارع جوهـــا دافى
وطولها وعرضـها وافى
وليه يمشى ابنهـا حافى
يمد الايد ويطويهـــا

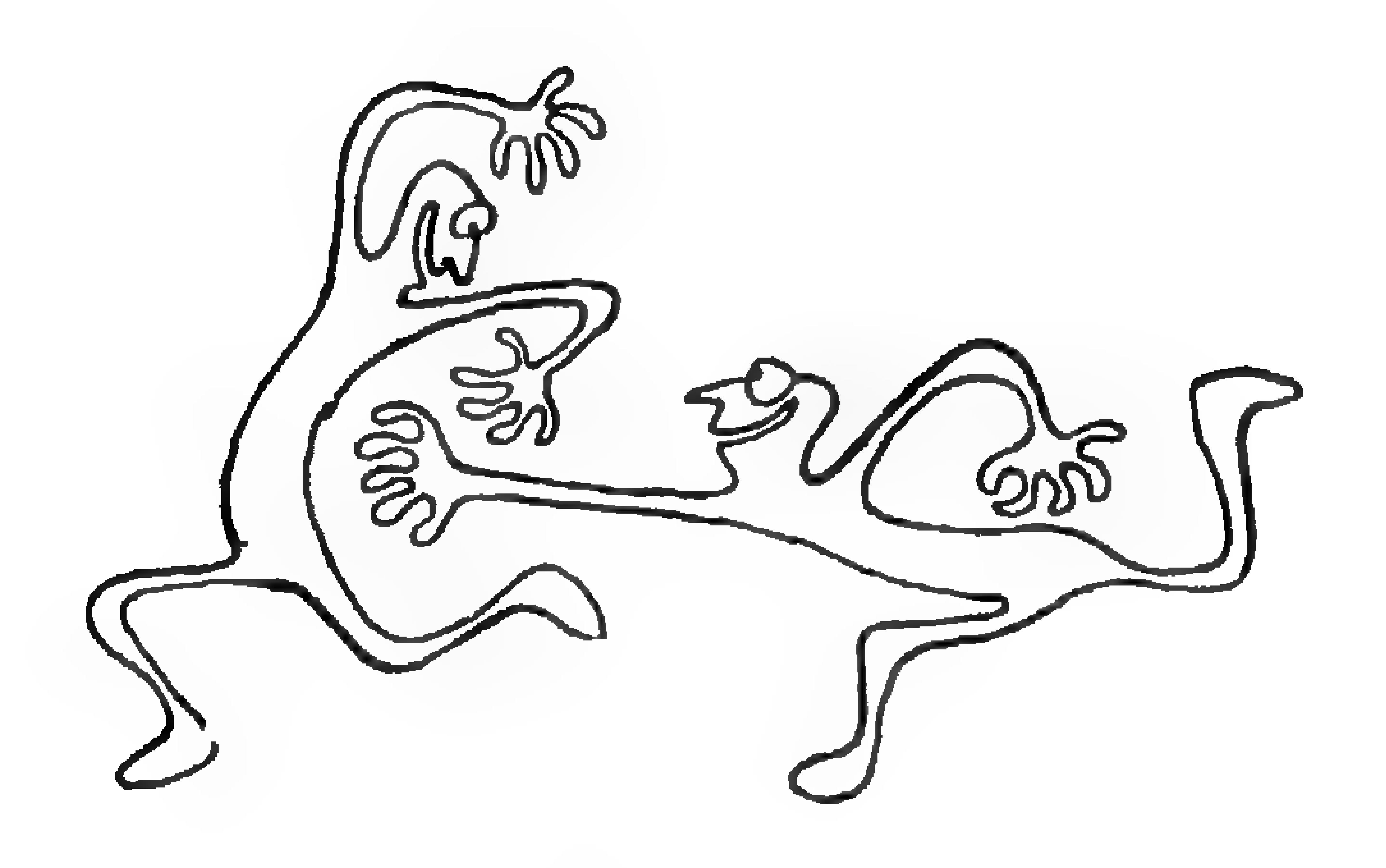
وليه الباشـــا والوالى
يجبهم بابهـــا العالى
وليـــه مايكنش طوالى
حاكمهـــا من أهاليهـــا

تصوروا .. هذا مدح فى العائلة المالكة ، ولأول مرة فى التاريخ بعد قمبز ، يصبح لمصر حاكم مصرى من أهاليها ويعيش بيرم التونسي حتى يرى المعجزة تتحقق ويصرخ فى ميكرفون الاذاعة ليلة خروج الطاغية من مصر ، وصوته مبلل بالدموع :

يقوم من سراية يروح فى سراية
ويبعث عشايا لنـــرمين هـــدية
وخالتى الاذاعة تقول كل ساعة
عظيم الثنـــايا جزيل العطيـــة

تحية لابن البلد الفنان الانسان .. محمـــود بيرم التونسى ..

كامل الشناوى



هذه السطور كتبتها عن كامل الشناوى وهو حى فلما مات فكرت فى كتابة فصل جديد .. ولكنى عدلت !.. ولاسباب احتفظ بهالنفسى . لنترك كامل الشناوى التاريخ ..للتاريخ .ولنتكلم عن كامل الشناوى الحى ..

كامل الشناوى

كان كامل الشناوى رجلا فريدا بين الرجـــال .. اعداؤه يكرهونه على طول الخط ، واصدقاؤه يحبـونه على طول الخط .. والسبب.. كامل الشناوى نفسه ..

فهو اذا أحب ، أحب بلا قيد ولا شرط ، واذا كره ، كره بلا قيد ولا شرط ، وهو مثل القائد الحاسم ، اذا هاجم ، دمر هدفه تماما ، واذا انسحب ، مضى لا يلوى على شىء ..

وعلاقته بأى انسان تحددها صفات هذا الانسان .. نفسه ، فاذا كان انسانا وسـطا .. فكامل يكرهه ، « فليس أبغض على قلبى من الشىء الوسط ، ويستوى عندى نصف الأمى ، ونصف المتعلم » !

وهو لهذا السبب نراه يعشق الاذكياء والاغبياء معا .. ويكره الذين يمتازون بنصف ذكاء ، والذين يتمتعون بنصف غباوة .. ولكن — وهنـا العجب — نرى كامل الشناوى لا يطبق هذا المذهب على سلوكه هو نفسه فى الحياة .. مثلا ، انه يعشق الحرية ، ويناضل فى سبيلها .. ولكن نصف نضال .. وهو ينشد العدل ، ويدافع من أجله ، ولكن نصف دفاع .. وهو يحمى المواهب ويحتضن أصحابها ، ولكن أيضا ، نصف حماية ، ونصف احتضان ..

ولا بد أن يكون وراء هذا السلوك سر من الاسرار ..

ربما كان السر عقدا نفسية تراكمت بمرور الزمن على نفس الصبى الصغير الذى خرج من السيدة زينب ، ومن بيئة يحكمها ويتحكم فيها سلطان الدين ، ليتربع هذا الصبى الصغير آخر الامر على راس المجتمع ، يبهره ، ويدهشه ويشترك فى توجيه مصيره . وصنع أحداثه ، لفترة طويلة من الزمان

***

ولقد بدأ كامل الشناوى حياته طالبا فى الازهر ، ثم ما لبث أن هجر الدراسة فيه كافرا بالمناهج العقيمة ، بالعلوم الجامدة التى انفصلت عن عصرنا عشرات القرون ، بالجهل النشيط الذى كان ميزة علماء الازهر . فى تلك الايام . وخرج كامل الى الحياة ينشد البحث عن شيء يحن اليه ويحبه ، عن الشعر ، عن الفن ، عن الموسيقى ، عن الغناء .. وبمعنى آخر ، خرج ينشـــــد البحث عن الحياة . فنراه ينضم الى جمعيه للشعراء . ثم يذهب الى حافظ محمود ليتعلم منه فن الخطابة والالقاء ، ثم يبعث الى جريدة الاهرام بين الحين والحين بقصيدة من نظمه ، ولكن القليل من هذه القصائد كان يرى النور ، أما الغالبية العظمى فكان يجد طريقه بسهولة .. الى سلة المهملات ..

يقول كامل الشناوى : كان المشرف على الصـــــفحة الادبية فى الاهرام ممن يطربون للالفاظ الغريبة الميتـــة « كجلمود صخر .. وأشياء من هذا النوع ، ولم يكن يستسيغ أبدا هذه المعانى الجديدة ، ولا هذه الرقة التى اخذت تسيل من شعر شبان ذلك الجيل » !

وفكر كامل فى وسيلة ليقنع بها الاستاذ المشرف على الصفحة بأن شعره يستحق النشر ، ووجد الوسـيلة

أخيرا « مقلب » فيه كل الاحتجاج ، وكل السخط وكل الثورة التى تعتمل فى نفس كامل ، وفيه قبل هذا وبعد هذا .. فن جميل

ومن هنا ، ستظل « المقالب » من هذا النوع هى هواية كامل الشناوى ، وطريقته المثلى فى التعبير عن رايه بصراحة فى الاشخاص والاحداث

ونفذ كامل الشناوى « المقلب » كتب قصيدة من نوع

سلاما صباحا لا يعم ولا يجرى
ولا الما بهـــا نفسى ولا تدرى

وهات يا شعر من هذا النوع الذى يعجب الاستاذ المشرف على الصفحة ، ثم ذيل القصيدة بامضاء شاعر مشهور كانت له شنة فى تلك الايام . وطوى القصيدة ، وبعث بها الى الاهرام . ونشرت الاهرام القصيدة ... وكانت فضيحة

وهكذا ايضا .. دخل كامل الشناوى الاهرام ، محررا بها ، ثم مشرفا على الصفحة

وكان صيته قد بدأ رغم حداثة سنه ينتشر فى كل الاوساط ، ودخل الشاب السمين الاسمر الذى يحفظ الشعر ويقرضه ، ويقول النكتة ويجيد حبك المقالب ويقلد الاصوات والحركات ، دخل القصور ، وجالس الوزراء ورؤساء الوزراء ، وأصبح صديقا لصاحب القبضة الحديدية .. محمد محمود

ولكن ــ وهنا العجب ايضا ــ نرى الشاعر كامل الشناوى الذى اصبح صديقا لمحمد محمود ، لا يمدح بشعره هذا الحاكم بأمره .. ان القصيدة الوحيدة التى قالها فى مدح زعيم .. كانت فى مدح مصطفى النحاس ،

بالرغم من أنه لم يكن صديقا له ، وكل ما هناك انه يستحق شعرى » ! لماذا ؟

لأن النحاس كان ممثل الشعب بحق فى ذلك الوقت ، كان أعظم الزعماء ، واذا كانت الصداقة لرئيس الوزراء فالشعر يجب أن يكون للزعيم

ويسأله المرحوم تقلا باشا عما اذا كان له أصدقاء من بين الوزراء فيجيبه كامل الشناوى ببساطة « اننى أسهر كل ليلة مع محمد محمود »

ويخبط تقلا باشا كفا بكف ، فأمامه صحفى عبيط يصادق رئيس الوزراء .. ثم يكتب فى جريدته شعرا . ويصرخ تقلا باشا فى وجه الصحفى الغشيم :

ـ حاول أن تحصل على كل الاخبار من محمد محمود

ويجيب كامل بنفس البساطة :

ـ ساحاول ..

ويخرج من مكتب تقلا باشا الى سراى محمد محمود

وفى مجالس الوزراء والزعماء لا يكون الحديث نكتا فقط ولا دردشة فقط ، بل ان الذين يصنعون الاخبار ، يضطرون حتى فى حياتهم العادية الى الدردشة فى الاسرار والاخبار والانباء ، وهى الكنز الذى يبحث عنه كامل الشناوى .. الشاعر الذى قرر أن يكون صحفيا . ومن خلال الدردشة والحديث ، يلتقط كامل الشناوى خبرا هاما ، أن أمين عثمان سيسافر الى القدس ليجتمع بأحد المسئولين الانجليز ، وأن مفاوضات على مستوى عال ستدور هناك ، بعيـــدا عن أعين الصحفيين ورقابة الشعب ..

ويسرع كامل الشناوى الى الجريدة ومعـــه الخبر ،

ويعيد تقلا باشا صياغة الخبر وينشره منسوبا الى مراسل الاهرام فى القدس ، ويحدث الخبر هزة فى كل الاوساط ويتلقى كامل التهنئة ، ويقبض مكافأة ضخمة ، أكدت عزمه الذى كان قد استقر على أن يتحول بكل طاقاته الى احتراف مهنة المتاعب والقلق .. الصحافة

ويدرك محمد محمود بذكائه ان كامل الشناوى المحرر بالاهرام ، وصديقه وجليسه هو مصدر الخبر ، ولكنه « يبلعها » ويسكت لجولة قادمة ، ليلقن كامل الشناوى درسا لا ينساه . وذات مساء ، وفى سراى محمد محمود وكامل الشناوى جالس ينصت فى اهتمام ، يعلن رئيس الوزراء خبرا ، هو فى ذاته سبقا صحفيا عالميا . ان جوبيلز وزير الدعاية فى حكومة هتلر قد وصل الى مصر سرا ، ونزل بفندق سميراميس ، وانه التقى بمحمد محمود فى ظلام الليل ، ودارت بينهما أحاديث خطيرة . ويستأذن كامل الشناوى من رئيس الوزراء ويخرج مسرعا الى الاهرام .. الى مكتب تقلا باشا

ويرتاب رئيس التحرير المدرب فى الخبر ، فيرفع سماعة التليفون ليتصل بفندق سميراميس ، ثم بجميع الفنادق التى يحتمل أن يأوى اليها وزير خارجية المانيا ، واتصل بالمطار وبرجال البوليس ، وبكل مكان له علاقة بوصول جوبلز . ولكن الجميع يؤكدون ان الخبر كاذب . ويضطر تقلا باشا فى الفجر الى الاتصال بمحمد محمود ، وما ان يسمع رئيس الوزراء صوت تقلا باشا حتى ينفجر ضاحكا ، وينهى المحادثة بكلمة لا تزال ترن فى أذن كامل « عشان كامل يتعلم » !

وفعلا ، تعلم كامل الشناوى من يومها ان يكون حذرا ، ولعل الحذر هو أبرز صفاته .. بعد الظرف

وتمضي الايام بكامل الشناوى الى الامام ، وهو يتنقل من نصر الى نصر ، وشهرته تطبق الافاق ، وصيته يدوى كالطبل ، والمال ينهال عليه كما تنهال الميـاه من جوف القرب ، ويتبخر من بين أصابعه بأسرع مما يأتى وهو يحب المال ويطلبه ويسعى فى سبيله ، ولكنه يحبه ـ كما يقول أوسكار وايلد ـ كالجنتلمان ـ يحبـــه لينفقه ، ويقبض عليه ليتركه يسيل من بين اصابعه !

ويلتقى كامل بوجوه كثيرة ، واصناف شتى من الناس وانواع مختلفة من النفوس ، والوان لا حصر لها ، عباقرة وأغبياء ، وزراء وصعاليك ، فنانون وادعياء ، أصحاب مواهب ، وأصحاب سلطة ، أصدقاء واعـداء ، وكامل الشناوى يتفرج ويتأمل ويضحك ، ولكنه أبدا .. صديق للجميع ..

ولكن ، كيف يجد القدرة فى نفسه على أن يظل صديقا للجميع ، وهو الفنان الذى ينفعل ويضطرب ويتـألم ويصرخ أحيانا فى شعره وفى فنه صراخا رهيبا عنيفـا سيظل يدوى أبد الدهر فى سمع الوجود

لا أحد يدرى ؟

أنا نفسى سألته هذا السؤال ، ولكن بطريقة أخرى :

ـ كيف تستطيع أن تنافق كل هؤلاء الناس ؟

ويبدو ان السؤال كان قاسيا على قلب الشيخ الذى بلغ الخمسين فقال وهو يكبت فى نفسه غضبا ثائرا :

ـ تعودت أن أجامل الناس ، وما تسميه أنت نفاقا ، اسميه أنا مجاملة

وفى سبيل هذه المجاملة ترزح نفس كامل الشناوى تحت أثقال من العذاب !

ومن ابرز صفاته انه يستطيع أن يشم رائحة موهبة على بعد الف ميل ، وهو لا يشمها فقط ولكنه يسعى اليها ، ويجذبها نحوه ، ويجاهد فى سبيل أن يدفع بها خطوات واسعة الى الامام .. واذا كان مكتب الشناوى صالونا يلتقى فيه كل مساء رجال الادب ورجال الفكر ، ورجال الفن ، ورجال العلم ، ورجال فقط ، وأشباه رجال ، فباب كامل الشناوى طريق للمواهب الصغيرة الى المجد والشهرة .. واذا كان وراء كل عظيم امرأة ، فوراء كل فنان شاب .. كامل الشناوى بشرط أن يكون فنانا بحق ، والا .. فان كامل الشناوى وراء الادعياء أيضا ، ووراءهم بلسانه ونكاته وقفشاته ..

ولقد ذكرت من قبل ان كامل الشناوى اختار لنفسه طريقا وسطا فى الحياة .. ينشـــد العدل ويدافع فى سبيله ، ولكنه نصف دفاع .. ويناضل من أجل الحرية .. ولكن نصف نضال .. ومن اجل هذا أيضا خاض كامل الشناوى غمار كل المعارك التى خاضها الشعب ، ولكنه لم يدخل السجن ابدا ، فقد كان يخوض المعارك عندما يكون الجو مناسبا للقتال ، حتى اذا هبت العاصفة آثر كامل أن ينحنى لها حتى تمر ، فاذا انقضت عاد كامل مرة أخرى الى النضال .. لعل هذا راجع الى ذكاء كامل الشناوى ، وهو ذكاء من فصيلة « الذكاء العام » للشعب لقد خاض الشعب المصرى عبر تاريخه الطويل آلاف المعارك ، وشهد عشرات الغـــزاة والمحتلين ، ولم يلن الشعب ولم يستكن ، ولم يهدأ ، بل ظل يقاوم ويناضل ، وذهب كل الغزاة ، وكل الطغاة ، وبقى الشعب .. ذلك لأنه آثر الا يدخل معركة حاسمة مع أعدائه قد تنتهى بابادته ..

وكما يعشق كامل الشناوى الادب والفن ، فانه يعشق

الليل ، الحياة عنده تبدأ عندما يبدأ الظلام ، ولا يأوى كامل الى فراشه الا عند الفجر ، ومن المؤكد انه يكره الوحدة : ولديه قدرة عجيبة على العمل وسط مائة انسان ، وفى جو صاخب عاصف . وهو يبدو دائما هاربا من شيء فى نفسه ، وطاقته المبدعة يفرزها قليلا فى الكتابة ، وكثيرا فى الكلام .. انه يعشق الكلام ايضا . وهو اسعد ما يكون عندما يتكلم فى الادب ، وانت تحس عندما تسمع كامل ينشد الشعر انه يضيف الى القصيدة معانى جديدة لم تكن تحس بها من قبل .. ولكن هذا الولع الشديد بحب الكلام والذى أمتع الالاف واسعدهم قضى على كامل الشناوى كأديب ، اذ انه لم ينتج ادبا على ورق . وكل روائع كامل وأثاره الخالدة كانت طلقات فى الهواء

وأعجب ما فى كامل انه وهو الذى يقدر النكتة ويعشقها ويضعها أحيانا فوق كل اعتبار ، يفزع من النكتة ويرهبها اذا كانت مصوبة اليه ، صحيح أنه يحب النكتة، ويطرب لها ، ويضحك من أعماقه عليها ، على شرط أن يكون هو قائلها ، وفى جلسة مريحة ، وبين أصدقاء أعزاء ، ولكنه يخاصم النكتة ويكرهها اذا كانت ضده ، اذا كانت تعنيه .. ان موقفه منها كموقفه من المعارك ، يخوضها اذا كانت لا تقضى عليه ..

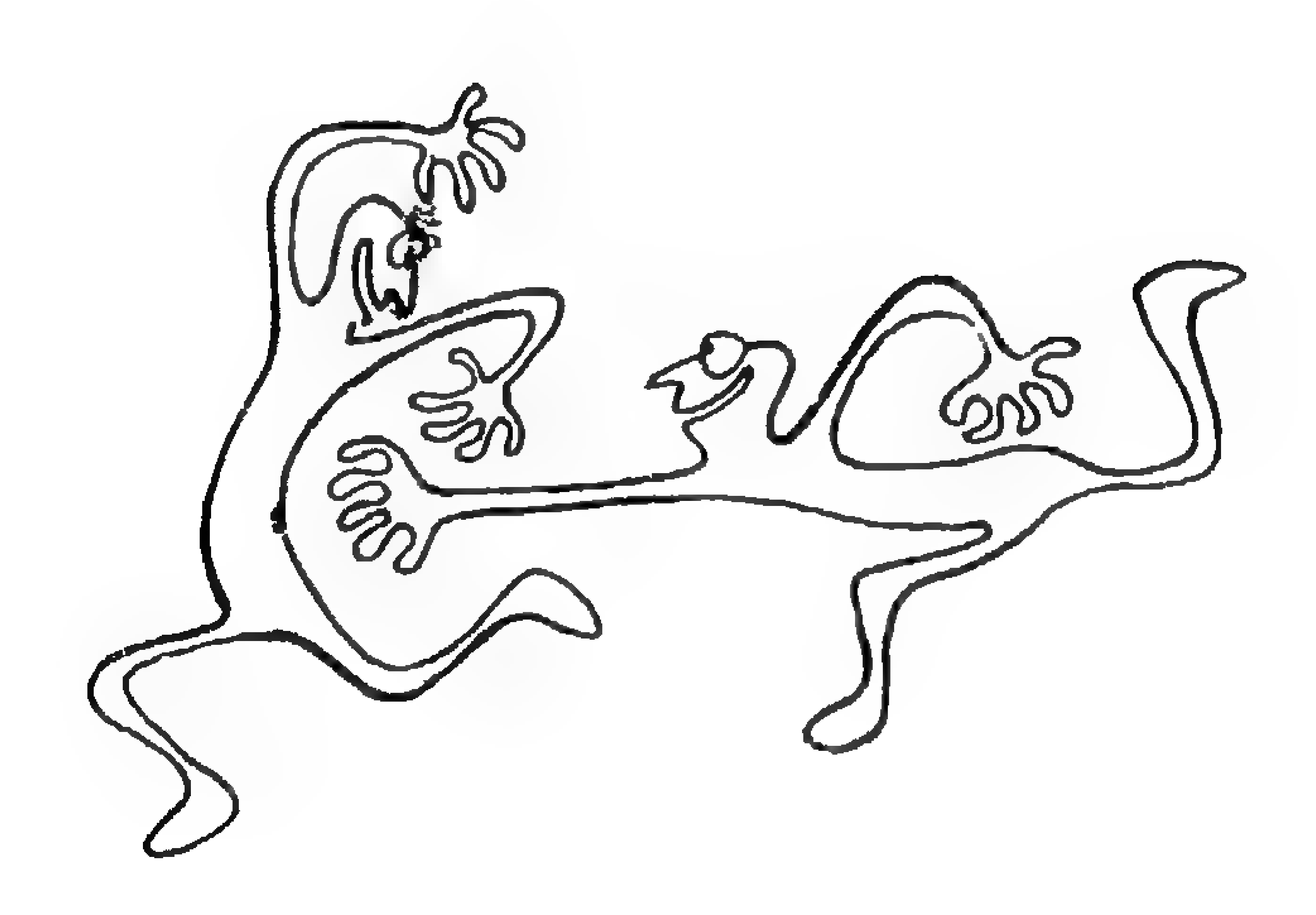
ومهما يكن الامر ، فقد ذاق كامل الشناوى كل الوان الحياة ، ذاق خيبة الامل ، وذاق الفشل ، وتجرع النجاح ووصل الى القمة ، وربح الالوف ، وعاش كالمهراجات ، وأنفق أكثر مما ربح ، وعرف عشرات الالوف من الناس ، وأحب وتألم وشعر بالرضا ، وشعر بالسخط وكان دائما ثائرا على كل شيء ، حتى على نفسه .. ولكنه استطاع ببراعة وبذكاء أن يسير على حبل الحياة دون أن يسقط .. وعاش حياته كما اشتهى أن تكون

حياته ، واختلفت صورته عند الناس ، فمنهم من يعده مازحا ، ومنهم من يعتبره فنانا ، وهو عنـــد البعض اديب ، وعند الاخرين صحفى ، ولكنى أعتقد انه كل هذه الاشياء ، وانه انسان ، وانسان فريد من نوعه ، جمع فى نفسه وبين جوانحه كل ما فى الحياة العريضة المتلاطمة ، من متناقضات ، وببساطة اننى اعتقـد أن كامل الشناوى هو .. الحياة ..

وليعذرنى القارىء اذا ضربت صفحا عن نكات كامل الشناوى وقفشاته ، فهى شائعة ذائعة على كل لسان • وليعذرنى كامل الشناوى نفسه اذا كنت قد اخطأت ، وهذا الذى كتبته ليس تاريخا لحياة كامل الشـناوى ، والا لكنت احتجت الى مجلد ضخم قد تنتهى صـــفحاته قبل أن ينتهى الحديث عن كامل الشناوى ، ولكنه مجرد انفعال شخصى بأستاذ زاملته حينا ، وصاحبته حينا ، واتفقت معه حينا ، ولكننى أحببته على الدوام ..

وبعد ، أن قصة الصبى المعمم الصغير الذى خـــرج من السيدة زينب ، وهرب من الازهر ، ليتربع علي رأس المجتمع ويشترك فى توجيهه وصياغة مصيره لفترة طويلة من الزمان ، قصة هذا الصبى لم تنته بعد ، وأغلب الظن انها لن تنتهى أبدا .. فلقد أثر كامل الشناوى فى عصره كما تأثر به ، وأثر فى العشرات الذين تتلمذوا عليه ، والذين أعجبوا به ، والذين شغفوا بفنه .. وسيظل كامل الشناوى طرازا فريدا بين أدباء العصر ، وسيظل بابا لكل الموهوبين من الشباب الى الجنة ، وستبقى حياته .. أعظم انتاجه ، كما كانت الحياة عنده .. أمتع هواية لديه ..

ليس بعد الضحك ذنب !



« اذا كان ليس بعد الكفر ذنب : فليس بعد الضحك شيء أكثر فائدة للانسان »

ليس بعد الضحك ذنب !

اذا كان ليس بعد الكفر ذنب ، فليس بعد الضحك شيء أكثر فائدة للانسان . بشرط أن يكون الضحك بواسطة .. فن عظيم ! والشعب المصرى شعب ضاحك بطبعه ، علمته سنوات الذل والكبت والعدوان أن يسلي همه بالنكت والتأليس والضحك على الفاضي والمليان ! ولذلك كان من الصعب أن تكون ساخرا فى مصر ، اذ كيف يستطيع فرد واحد أن يضحك شعبا من الساخرين العظام ! .. والنكتة المصرية مثل الطرشى والليمون المصفر والطافيا .. معتقة وحراقة وكاوية تنطلق أحيانا كالرصاصة تندب فى الضلوع ! ..

وأول نكتى شهير فى مصر كان يعيش فى عهد كافور الاخشيد ، وكان اسمه سيبويه المصرى ، وذلك لغرامه الشديد بالنحو ، وتعلقه الشديد بالصرف والنحو والاعراب . وكان سيبويه يركب حمارة بيضاء اللون ويمشى فى الاسواق هاجيا أعداءه ومنافسيه بأفحش الالفاظ ، وعندما سئل لماذا تركب حمارة ، قال لان عندى فى البيت حمارة تركبنى !

ولقد جاء المتنبى الى مصر فحمل عليه سيبويه المصرى حملة شعواء ، وكان من الاسباب الرئيسية التى نفرت المتنبى من مصر ومن أهل مصر ، وجعله يهجوهم ويهجوها بشعره الرائع العظيم

ولقد ظهر فى مصر بعد موت المتنبى بنصف قرن فقط عشرات ومئات مثل سيبويه المصرى ولكن على نحو آخر، شعراء عقلاء وعلمـــاء تحولوا فجأة الى مجانين يقولون أشعارا ولا لخبطة البغبغان ، أولهم أبو الرقعمع ، وابن مكنسة ، وابن دانيال ، ولقد استمر هذا الشعر وتطور ، وأطلقوا عليه فى العصرالحديث اسم الشعر «الحلمنتيشى» ونبغ فيه عباقرة أفذاذ كان من بينهم حسين شـــفيق المصرى ، ومحمد مصطفى حمـــام . وقد ترك حسين شفيق المصرى ثروة هائلة من الشعر الحلمنتيشى كان أعظمها « المشعلقات السبع » على وزن المعلقات السبع التى تركها فطاحل الشعراء العرب معلقة بخيوط من ذهب على أستار الكعبة !

وكان من أشهر مشعلقاته تلك التى عارض فيها معلقة طرفة بن العبد والتى مطلعها :

لخـــوله أطـلال ببرقة ثهمـــد
تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليـــد

يقول حسين شفيق المصرى :

لزينب دكان بحارة منجد
تلوح بها أقفاص عيش مقدد
وقوفا بها صحبى على هزارها
يقولون لا تقطع هزارك واقعد
أنا الرجل الساهى الذى تعرفونه
حريص كجن العطفة المتلبد
فمالى أرانى وابن عمى مصطفى
متى أدن منها ينأ عنها ويبعد

بقول وقد ألقى الرغيف وسابنى
ألست ترى جوزها عويس بن أحمد

فلما تناغشنا الغداة وهزرت
معانا وأعطت برولا بموعد .
رأت زوجها يدنو فغطت « صدرها »
بشال طويل كالملاية أسود

وقالت يا لهوى جتكو نيلة امشوا من هنا
أفندية ايهدول جوزى شايف دا شىء ردى
فأقبل زوج البنت يلعن أمها
ويسعى الينا بالمداس المهربد
ولا خير فى خبص ترى الضرب بعده

ولا هاجم يأتيك بعد الترصد
ستبدى لك العصيان ما كنت جاهلا
ويأتيك بالمركوب من لم تهدد

ولقد حرصت على تدوين نص المشــــعلقة كى يقف القارىء على مدى الجهد الذى بذله الشاعر الحلمنتيشى فى كتابة هذه المشعلقة ، ذلك أن بعض الموهومين يظنون أن الشعر الحلمنتيشى سهل ، وأنه يكفى أن تقول أى كلام فارغ وهايف لتصبح من الشعراء الحلمنتيشيين !

ولكن الغريب فى الامر حقا أن يكون الشعب المصرى هو الشعب الوحيد فى العالم الذى أفرز شعراء من هذا النوع .. وأن تكون مصر هى البلد الوحيد فى العالم الذى يقول شعراؤه شعرا من هذا اللون !

ومن الانصاف ان أقول ان هذا الشعر الحلمنتيشى لم يزدهر ولم يصبح أدبا محترما الا فى مطلع هذا القــرن العشرين ، حيث كان وسيلة للنقد وسلاحا فى معــركة التريقة على أوضاع الحكم . وصرخة احتجاج ضــد الاوضاع المقلوبة فى الحياة

والواقع أن النكتة المصرية والفكاهة عموما لم يصــبح

لها وضع مرموق الا فى العصر الحديث . ذلك أن الرجل الفكهى كان لا يعدو مجرد مهرج أو اراجوز أو طالب قوت فى نظر الآخرين ، وان كان الانصاف أيضا يقتضينا أن نقول أن السواد الاعظم من الناس الفكهية كانوا فى الواقع أرزقية وطلاب قوت . والسبب انه فى مطلع هذا القرن اقتحم سوق الفكاهة عدد من الوجهاء وكبار الموظفين ومشاهير الادباء من بينهم الدكتور بكير الحكيم ، ورشاد بك القاضى ، والدكتور محمد رافت ، وحسن بك رضا المحامى ، ومحمد بك المويلحى ، ومحمد بك البابلى ، ونعمان باشا الاعصر ، وخليل بك خير الدين ، وحافظ بك ابراهيم ، وساويرس بك ميخائيل . ولم يمارس هؤلاء الناس الصنعة لاضحاك الناس ، بل للضحك عليهم

وقبل أن يدخل السوق هؤلاء الاعلام ، كانت الفكاهة مجرد « قفش » ومهرجان للقافية . وهذا النوع من الفكاهة لا يحتاج الى ذكاء كثير ، بل يحتاج الى براعة فى التلفيق ، وهو لا يحتاج الى سرعة خاطر لان اغلبه محفوظ ومكرر ومعاد ويقال فى كل مقام . فاذا كانت قافية السيارات مثلا يقال :

ـ وشك من الضرب
ـ اشمعنى
ـ كبر ليه ..

ويقال ايضا :

ـ لما تخش بيتكو
ـ اشمعنى
ـ يبقى فيه تيس

ولاحظ التلفيق الذى بين كابور ليه ، وكبرليه ،

وكذلك بين فتيس السيارة ، وفيه تيس التى يقصدها الفنان المشترك فى القافية

ولقد برز فى هذا اللون من الفن عشرات وألوف ،ولكن ابرزهم على الاطلاق كان امام العبد ، ثم يأتى حسين الفار ؛ وسلطان الجزار

ولكن هؤلاء البهوات المتفرغين للنكتة ، طوروا القافية الى شيء آخر رفيع ، فقد كان محمد البابلى يستمع الى المطرب يغنى « أهل السماح والملاح فين أراضيهم »

فقال البابلى على الفور :

ــ فى الشهر العقارى

هذه العبارة تحتاج الى سرعة خاطر وذكاء والى فن

فقد حرف البابلى لفظ « اراضيهم » من الرضا الى « أراضيهم » من الارض والطين والزراعة الى آخر هذه الاشياء !

وكان البابلى يجلس فى أحد البارات والى جانبه شاب سكران طينة لا يفيق ، نظر الى البابلى ورفع كأسه الى أعلى وقال :

ــ شايف يا سعادة البيه ، شايف لون الخمر ياقوتى

ورد عليه البابلى :

ــ دلوقت ياقوتى ، وبكرة يا قوتى

يقصد البابلى أنك يا أيها السكران طينة مبسوط اربعة وعشرين قيراطا من اللون الياقوتى ، وغدا تدمن وتفلس وتدور على الابواب تشحت قوتك !

ولقد شارك البابلى مشاركة فعالة فى تطوير النكتة المصرية وتهذيبها ، حتى ليجعل السامع يموت من الضحك بعبارات أرق من النسيم ، وهو فى هذا بعكس بيرم

التونسي ـ الذي يضحك بكلام صريح وعبارات صريحة ومعنى أكثر صراحة

يقول بيرم التونسي :

في الاربعة دول ففي عاجز نظر وخبيث
قاعد مقرفص وفاتح جيبته الابليس
لانه عارف بقى المنزل مافيهش أنيس
غير المره والمشايخ كلهم عميان
كحت وقالت لسيدنا صاحب العمله
تعرفش تقرا لي عدية يس كامله
الليلة حالا وتقلبها على كامله

بنت أم غانم وعيشة بنت خضرة كمان
قال الفقي كل شيء حاضر وانا خدام
لكن مفيش وقت ياللا استعجلي لنا قوام
واعطى المشايخ حسابهم بذهبوا بسلام
وانا أبات لك بعدية يس سهران

والمعنى هنا واضح وصريح لا لف فيه ولا دوران

وكان المعلم دبشه الجزار من أعلام القافية أيضا ، ولكن أكثر ما قاله لم يدون ، ولكن من القليل الباقي له عبارات تدل على ذكاء حاد وسرعة بديهة ليس لها مثيل كان يزور مرة فنانة مشهورة فسألته :

ـ افرطلك رمان يا دبشة ..

فأجاب على الفور :

ـ فرطيلي في عرضك

وكان في حلبة سباق الخيل ، فسأل سيدة من جاراته :

ـ انت بتلعبي على اى حصان ؟

وقالت السيدة :

ـ لو قلتلك تشاركنى على الحصان

وأجاب على الفور :

ـ أنا مش عاوز أشاركك انت ، أنا عاوز اشارك جوزك

وفى هذا الاتجاه أيضا كان البابلى يجلس فى المقهى يدخن شيشة فى رمضان ويقرأ القرآن ، فسأله صديق :

ـ ازاى تبقى فاطر وتقرأ قرآن ؟

وأجاب البابلى على الفور :

ـ أنا كنت باقرأ آية فاطر السموات والارض

ويسأله صديق :

ـ انت وفديست (نسبة الى الوفد) ولا عدلست (نسبة الى عدلى) ؟

فيقول البابلى :

ـ لا .. أنا فلست !

***

ويعتبر مأمون الشناوى هو التطوير الجديد لهذا الاتجاه ، نكتته مزيج من القافية والنكتة ، علق على اطراد الزيادة فى وزن حمادة الطرابلسى فقال : « أنا كنت قاعد وشفته وهو بيتخن »

وكان يركب سيارة مع صديق فقال لصاحب السيارة :

ـ ماتحاسب شوية

فقال الصديق :

ـ أصل الشارع كله مطبات

وقال مأمون :

ـ مش معقول المطبات دى كلها فى الشارع ، دا لازم مطب لزق فى العجلة

وكان يركب سيارة قديمة جدا وقذرة جدا ، فقال للسائق :

ــ ابقى اغسل القزاز بتاع العربية

فقال السائق :

ــ دا مفيش ازاز يابيه ، دا الازاز مكسور

فقال مأمون :

ــ طيب ابقى اغسل الهوا

ولكن كامل الشناوى كان على عكس هؤلاء ، كانت النكتة عنده قصة قصيرة وصورة فنية . وهذا النوع من النكت نبغ فيه عشرات من الناس ولكنهم جميعا تلاميذ فى مدرسة كامل الشناوى ، ومن هؤلاء عبد الحميد قطامش المحامى ، وعباس الاسوانى ، وزكريا الحجاوى

وان كان زكريا الحجاوى أكثرهم براعة عندما يتكلم ؛ فاذا كتب تحول الى انسان آخر متجهم شديد الكآبة .. كأنه مستودع أحزان !

والحقيقة انه ليس كل من يقول النكتة يجيدها فى الكتابة . فقد كان البابلى من أبناء النكتة العظام ولكنه لم يكتب شيئا ، وعبد الحميد قطامش كلامه يقطر سخرية وضحكا ، ولكنه حين يكتب شيئا لا وصف له على الاطلاق ، ولو أن عباس الاسوانى استطاع أن يكتب كما يتكلم لأصبح لدينا أديب ليس له نظير على طول الزمان . ومن هذا الطراز ايضا كان الشيخ عبد العزيز البشرى ، فقد كان تمسكه باللغة العربية الفصحى الحقة يكتب ، هو الحائل بينه وبين اكتشاف روحه الحقة كأديب . وأعظم آثاره فى النكتة هى التى تركها شفاهة

دخل مرة على حافظ براهيم وكانا فى طريقهما الى رحلة ، فاستمهله حافظ ابراهيم حتى يغسل وجهه ،

فقال له البشرى :

ـ وشك مش عاوز غسيل ، نفضه كفاية

وكان الشيخ البشرى فى مأدبة عند الاباظية وحين عاد بعد أن غسل يديه اكتشف أن احدهم قد رسم وجهـا لحمار على الجبة فقال البشرى :

ـ مين فيكم اللى مسح وشه فى الجبة ؟!

ويشكو لطبيبه من ألم فى المصران الاعور ، ويشير له الى مكان الالم ، فيطمئنه الصديق بأن المصران الاعور فى الجهة اليمنى والالم الذى يعانيه فى الناحية الشمال ، فقال البشرى :

ـ طيب ما يمكن أنا أعور شمال

ولكن الشىء الذى تطور حقا هو فن الكتابة الضاحكة

ولقد كانت كتابات البشرى هى أعظم المحاولات فى هذا الطريق ، وكذلك استطاع بيرم التونسى وحسين شفيق المصرى أن يضيفا أشياء كثيرة الى فن البشرى ، والسبب هو قدرتهما الفائقة على استعمال العامية ، وثقافتهما العريقة فى التراث

وكانت مجلة البعكوكة اضافة جديدة مستقرة ، لأن كل المحاولات السابقة لم يتوافر لها الاستمرار كالسيف والمسامير والشجاعة والخلاعة . وحتى الكشكول أيضا لم يكتب لها البقاء . ولو لم ينضم صاحب البعكوكة الى قلم الاستعلامات البريطانى ، ولو لم يكرس جهوده للحرب ضد بيرم التونسى ، ولو لم يبذل جهدا فائقا لنفاق الملك وبطانته ، لولا هذا لكانت مجلة البعكوكة هى خير ما نعتز به فى هذا المجال . ذلك أن الفكاهة لا يمكن أن تدوم طويلا اذا كانت حربا ضد المبادىء ، أو اذا استخدمت ضد الشعب

ثم جاءت بعد ذلك مجلة كلمة ونص وكانت اضافة جديدة بعد البعكوكة

وتعتبر مجلة صباح الخير هى آخر فوج هـــذا الطابور . ولكن ينبغى لنا الوقوف لحظة عند مجلة الفكاهة التي أصدرتها « دار الهلال » والتى كان يحررها حسين شفيق المصرى ووليم باسيلى

فلقد كان العيب الحقيقى فى هذه المجلة هو الوقوف فى الوسط بين الطغاة والمحكومين ، وبين الاستعمار والشعب ، وبين الظالمين والمظلومين ، فكانت الفكاهة فيها للفكاهة ولذلك لم تصمد طويلا ، واضطرت دار الهلال الى ادماجها فى مجلة « الاثنين والفكاهة » ولعل هذا هوعيب وليم باسيلى أيضا ، فلو انه اتخذ لنفسه موقفا محددا فلربما كان له الآن شأن آخر . ولكنه آثر الحياد فى المعركة ، لذلك كانت فكاهته فاترة باردة لا تنفذ حتى العظم ..

والفكهى الحق ينبغى أن يكون ممرورا غاية المرارة ، والا فان فكاهته تصبح ضربا من اللهو . ومن كتاب الفكاهة العظام يحيى حقى ولكنه آثر السكوت الان لا أدرى كيف؟ وجليل البندارى أيضا كاتب فكهى جيد ولكنه عندما يتكلم يتحول الى شتام . وصلاح جاهين كاتب فكهى ممتاز ولكنه عندما يتكلم لا تسمع أى شىء ، وأحمد رجب يعيبه أنه وقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه وليم باسيلى من قبل ، ومحمد عفيفى كاتب فكهى جيد ولكنه يبدو فى كتاباته متأثرا بالغرب أكثر من تأثره بالتراث . ولكن كل هؤلاء على مستوى اعظم بكثير مما كان عليه الذين سبقونا الى رحمة الله

ولعل من غريب الامور أن الكتابة الفكاهية منذ ٥٠٠ سنة كانت

أحسن منها فى أوائل هذا القرن . فقد كتب ابن‌سودون المصرى أشياء رائدة وبسيطة تصلح للنشر هذه الايام

كتب مرة خطابا الى أبيه فى الصعيد :

« ويا والدنا العزيز أعرفك اننى نجوت من خطر خطير وشر مستطير ، فقد غسلت الجبة ونشرتها على حبل الفسيل ، وكانت الليلة قمرها غائب وبردها اثيل ولذا تعكر الجو فجأة ، وهبت ريح عاتية ، من جهة الشمال آتية ، واذا بالجبة تطير ، وعلى الارض تستقر ، فوالله يا والدى ، لو كنت انا فى الجبة ساعة هذا الحـــادث الخطير لكنت مت فى الحال واصبحت جثتى كالفطير .. ولا حول ولا قوة الا بالله العلى القدير »

هذه عينة من كلام ابن سودون

واليك عينة أخرى من كلام البشرى :

« ولقد كان حافظ ابراهيم يعرف عنى شدة الخوف مثلا من سرعة السيارات ، يستدرجنى الى احـــداهن لنزهة أو لعدة ولا أركب حتى استوثق من ان الســـائق لا يفعل ، واذا هو قد أوصاه ، وربما رشاه ، فمـــا يكاد الخنزير يبدأ عمل السيارة ، حتى يجريهـــا فى سرعـــة الكوكب الهادى أو البرق الخاطف ، ما يبالى زحمـــــة الطريق ، ولا مواجهة التـــرام ، ولا يطامن منه أنه يرقى قلعة ، أو مشت على حافة ترعة ، او نحو هذا مما يغلب توقع التلف منه على توقع السلامة » !

من هذه المقارنة نجد أن كفة ابن سودون أرجح ، فاذا قارنا الاثنين بأى كاتب ساخر جديد وجدنا أن النتيجـــة فى جانب الجديد

وأعتقد أن بمصر عددا من الكتاب الضاحكين أضعاف

أضعاف ما هو موجود علا فى أى بلد اخر

وفى المانيا الغربية مثلا يدفعون ثلاثة أضعاف الاجر المحدد لمن يكتب برنامجا يضحك المشاهدين

وفى المانيـــا الشرقية دور النشر تترجم كل الكتب الساخرة التى تصدر فى أنحاء العالم .. لانه لا يوجـد كاتب واحد ساخر فى المانيا كلها .. غربها وشرقها

ولعل كتابنا المسرحيين جميعا من الكتاب الفكهين . واعظمهم فى هذا المجال بلا شك نعمان عاشور ، ويـأتى بعده سعد وهبة ، ثم الفريد فرج

***

ولعل مصر ايضا هى البلد الوحيد الذى يتمتع بهذا العدد الوفير من رسامى الكاريكاتير . ذلك أن الرسام الكاريكاتيرى هو كاتب ساخر ، لان الكتابة الساخرة هى الاخرى نوع من الكاريكاتير

فاذا استثنينا من رسامى الكاريكاتير صـــاروخان ، وطوغان ، وعبد السميع ، باعتبارهم رسامين ســـياسة واحداث ومواقف درامية ، لو استثنينا هؤلاء لوجدنا عشرات من الرسامين الفكهين ، اعظمهم بلا جدال ، رخـا وصلاح جاهين ، وبهجت ، وحجازى ، وايهـــــاب ، وجورج ..

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

البحرين . السيد مؤيد احمد المؤيد — ص : ب ٢٤

انجلترا :

ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU
7, Bishopsthorpe Road
London S.E. 26
ENGLAND

سنغافوره

Mr. Ahmed Bin Mohamad Bin Samit
A. Maktab Atrijari Asshasat
P.O Box 2205
SINGAPORE

البرازيل

Mr. Miguel Maccul Cury.
R. 25 de Marco, 994,
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo BRAZIL



هذا الكتاب

ما الذى جمع الشامى على المغربى؟ وكيف التقى م[illegible]و فى عز الصيف بفبراير فى عز الشتاء ؟ ماهى العلاقةبين عبد الله الن[illegible]م أحـــد زعمـاء الثورة العرابية بحفنى محمود سليلالاسرة القديمة التى ورثت الحـــكم والجاه والطين ؟ ماالذى جعل محمدبك البابلى الانيق الرشيق ابن شيخ تجـــار الجواهر فى عصره ، يدخـــلالتاريخ من نفس الباب الذى دخـل منه عبد الحميد الديب نقيبصعاليكالعصر بلا منافس ؟ اى قدر جمع بين هؤلاء جميعا وكيف ؟ انه الظرف ..وهؤلاء جميعا هم الظرفاء [illegible] الكتاب معرض للرجال الظرفاء الذينجلجلت ضحكاتهم فى سماء [illegible] السنين الخالية . ومضت السنون ،وبقيت ضحكاتهم ترن ا[illegible] سمع السنين القادمة